# طرائف وذكريات وعجائب

## في أحوال الأولين والسوالف

جمعه وألفه
محمد بن حمد بن خريف التويجري
القصيم - بريدة

المجلد الخامس

إليك الضالة المنشودة

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

# طرايف
# ذكريات وعجايب
## في أحوال الأولين والسوالف
٥

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

الصف والإخراج دار العاصمة للنشر والتوزيع

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهــــداء

إلى جيل اليوم . . .

فهذه محفوظات ، لمأثورات ، وعِبر ، ووقائع ،

وأحوال ، عاشها الآباء ـ والأجداد ، الأوائل ،

لأخْذ العِظَة فيها ـ وحتى لا تَنْدَثِر ،

لتدعوا لمن سجَّل لكم مآثر ماضيكم .

المـؤلـف

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رافع السبع الشداد، عالية بغير عماد، واضع الأرض ومرسيها بالأطواد، وجاعلها مقرًا للعباد، خلق الخلق وقسم بينهم الأرزاق، وفاوت بينهم في العقول والأخلاق، ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

**أمَّا بَعْدُ**: حيث حُضيَ هذا الكتاب بالقبول، واستفاد منه الكثير، بفضل الله تعالى، وقد نَفَدت الطبعة الأولى، قمنا بعون الله تعالى بطبعه مرة ثانية، مَزِيدَة ومُنَقَّحَة، قد مَزَجْنا فيه الجزء الثالث مَزْجًا، وحذفنا بعض الأولى، فأَبْدلناه بجديد، نسأل الله القوي المنان: إن كان عملنا هذا صالحًا يرضيه، أن ييسر نشره بين العباد، والانتفاع به، بفضله الواسع، فإنه ولي التوفيق، والمطلع على السرائر، وهو على كل شيء قدير.

وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**المؤلف**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةُ الطَّبعَةِ الأُولَى

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، فَضَّلَ العرب بأشرفِ الرُّسلِ وأفضل الكتب، ووعد بحفظ القرآن إلى آخر الدَّهر، أحمده وأشكره وهو واهِبُ الحمد والشكر، وأشهد أن لا إلـٰه إلَّا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وأُلُوهيته وأسمائه وصفاته، شهادة تنافي عموم الكفر، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله نبينا وحبيبنا سيد البشر، الشافع المشفع في المحشر صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه السَّادة الغُرَر النجوم الزُّهَر، وسلم تسليمًا كثيرًا.

**أمَّا بَعْدُ**: فأنا عندي معرفة شيء كثير من السَّوالف، والآثار، والذكريات، مما يعين على تثقيف النفوس، ومعرفة مآثِرِ العروبة؛ لأن النفوس تحب الوقوف على الآثار، وتتشَّوق لسماع الأخبار عن الآثار، من الغرائب، والنَّوادِرِ، والنُّكَتِ، والْحِكَم، والفوائد، وذلك أيضًا يُعين على فهم معاني القرآن، حيث نَزَلَ القرآن في مثل ذلك، فمن لم يعرف الآثار، فقد يغلط في فهم بعض معاني القرآن، كما قال بعضهم: (إن هذه السيارة مذكورة في القرآن في سورة يوسف ﴿ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٌ

﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ . . .﴾ [يوسف: ١٩] الآية: وهذا لأنه لم يعرف أن السيارة المذكورة في الآية: هم الْقَافِلَةُ، مجموعة من الناس، تَقِلُّ وتكثر، يسيرون في الطرق البرية، خلف الإبل أو الحمير أو البغال، ونحو ذلك، أما هذه السيارة فهي من الصناعات الحديثة، وهذا الخطأ سببه هو عدم معرفة الماضي، الذي نزل في مثله القرآن.

وعامة ما أذكره من السَّوالف قد حفظته من أفواه مشائخ القَمْرا[١]، لأني أحفظ ما سمعته من وقت صِغَري فلا أنساه، وقد أسمع الشيء عِدَّةَ مرات، من عدة أشخاص، في أوقات متفرقة، فيكون قد استفاض عند الناس: إلاَّ ما عَزَوْتُه إلى قائله فهو كما يُذْكَر، وما لم يكن صالحًا للجميع[٢] تركناه، ولهذا لا تجد فيه سالفة إلاَّ وفيها فائدة في لفظها ومعناها، وتجد فيه أشْيَاءَ لَعَلَّك لا تجدها في غيره[٣]: وتجد فيه بعض الفوائد بلفظ وَجيز، ونُعِيد بعض الكلمات بلفظ آخر (كَشَرْح)، ولا نتعرض لإصلاح بعض الألفاظ العامية، لأَجل معرفة الماضي[٤].

وحيث كان كل شيء يحتاج إلى مُلْحَةٍ وتجميل، فإني أرى تَوْشِيحَ هذا الموضوع، بفوائد وحِكَم دينية، تكميلاً للفائدة واغتنامًا للفرصة فالحسنات يذهبن السيئات، وَنُدْرِجُها متفرقة بين طَيّات الكتاب، ليكون كالبستان مُنَوَّعِ الثِّمار، لترويح نفس القارىء حتى لا يمل هذا ولا ذاك،

(١) أهلِ القَصَصِ والسوالف.

(٢) يعني كل الفئات: رجال ونساء صغار وكبار.

(٣) وهو أَغْلَبه.

(٤) وَيَتَّسِقْ لك فهمه جيّدًا إذ اسْتَكْمَلْت تصفحه، لأنك تجد توضيح بعض المسائل في موضع آخر.

ونَبْدَأ بـذكـر مُغَايرة الأحوال الأخيرة عن الأحوال والآثار القديمة، لينفتح فهم القارىء لمعرفة الآثار، ويدخل من هذا الباب.

فمثلاً: كـان النـاس لا يعـرفـون السيـارات، ولا الطيـارات، ولا مكائن الماء، ولا الكهرباء، ولا البترول، ولا الغاز ونحوه، وإنما كانوا يسنونَ على النَّواضِح، من الإبل أو الحمير أو البقر وعلى ظهورهم، وكذلك يحرثون الأرَض بآلات تجرها المواشي، أو يحرثون بالمساحي بأيديهم، وهو أكثر عملهم، وكذلك وسائل النقل لديهم، هي: الإبل والحمير والبغال، وربما يحمل بعضهم أغراضه على رأسه وظهره، لقلة حصولهم على شيء من المواشي، في بعض الأحيان، وحين سمعوا بظهور الصناعات الخارقة لما يعرفونه، صاروا بين مصدق ومكذب، وقد كان رجال من أهل نجد يسمون «عُقيل»، يذهبون للغربية لتسويق الإبل والخيل هناك (والغربية هي بلاد الشام وفلسطين ومصر والعراق، بالنسبة لبلاد نجد، لأنهم يتغربون فيها عن بلادهم)، وفي إبّان بدء العصابات الصهيونية، لغزو فلسطين، حالة الاستعمار البريطاني، وإذا بعض رجال عُقيل حضروا هناك، ورأوا طائرة في الجو، فلما قدموا لنجد، وجلسوا في (جردة) السوق، يتبادلون السَّوالف عما رأوا هناك، قال أحدهم إننا رأينا الحديد يطير في الهواء، فقال الجماعة كذبت، فاستشهد بصاحبه وقال: هذا مسلّم اسألوه، فقالوا: ما تقول يا مسلم، هل هو صحيح، الحديد يطير في الهواء؟ فقال، (لا أنا ما رأيته) فغضب عليه صاحبه حين أَكْذَبَهُ، فلما خَلا به قال: كيف أَكْذَبْتَنِي وأنت قد رأيت ذلك مثلي؟ فقال مُسَلّم: أنا لا أحب أن يُكذِّبوني مثلك، دع هذه الغرائب تأتيهم من غيرنا.

وفي عام واحد وستين وثلاثمائة وألف هجرية تقريبًا، جاءت طائرة عابرة، من الغرب للشرق، آخر الضحى، من فوق بريدة وقراها، فانزعج الناس منها، وهرب بعضهم إلى بعض، وكثر الصراخ، وخرجوا من البيوت، حتى قال بعضهم: هذه صيحة القيامة، وأخبرني من أثق به، أن امرأة سقط ولدها من بطنها، من شدة الإنزعاج من جلبة الطائرة، (وأنا رأيت المرأة تغطي جانب وجهها، تنظر إلى الطائرة وتقول: انظروا رؤوسهم فوقها ينظروننا، (يُخَيَّلُ إلى المرأة ذلك من ذهول عقلها)، حتى البهائم انزعجت، فخرجت الإبل من السواني وخربت عُدّة السواني، والبقر انزعجت وقطعت الحبال (الربط) وهربت، والبدو في البر انزعجوا وهربت إبلهم وغنمهم، إلى آخر ما حصل من ذلك الشيء العجيب، وحين بدأت تأتي السيارات: صاروا يهربون منها، حين يسمعونها من بُعد، فيختفون خلف الجدران، وخلف الأثل، ويغلقون البيوت وينظرون من فوق السطوح، مع ما يصيبهم من الخوف والرهبة منها، فأنا أدركت ذلك وشاهدته، فصاروا بعد ذلك يعللون أنفسهم ويتناقلون أثرًا، أو حديثًا «أنه في آخر الزمان يتكلم الحديد ويقرب البعيد».

وأنا أدركتهم ولم تظهر مكائن الماء ولا يعرفونها، وأول ماكينة ظهرت عندنا للماء، ماكينة تشتغل على فحم حطب عادي فقط، هو مادة وقودها، يذهب رجال من الجماعة أعرفهم، يصلحون لها فَحْمًا من حطب البر، وينقلونه لها على الإبل، ثم ظهرت ماكينة تشتغل على الديزل، هو مادة وقودها، فاهتال الناس منها أيضًا، وصاروا يزورونها

ينظرون إليها، كما كانوا يهتالون من الأولا «كَيْفَ ماءٌ يشْتَعِل نارًا ويَعْمَلُ بالحديد هكذا».

أما استعمالهم الإبل، فهذا شيء عادي قد نشأوا عليه، فيذهبون به، ويأتون به، ويُنِيْخُوْنَه ويركبونه، حتى كانت بعض البنات والنساء تشْمُر (تقفز) على ظهر البعير وتركبه، حتى وهو واقف، وهو يمشي، فكيف الرجال والأولاد؟ ويحملون أثقالهم عليها، أسهل من حملهم على شاة.

أما المادة الاقتصادية عندهم، فهو الإنتاج الوطني، (التمر واللبن والقمح والشعير والدخن وغير ذلك)، مع اعتياد الاقتصاد في المعيشة، فإذا حصل لأحدهم ملء كفه تمرًا أو نحوه كفاه نهاره كله، وليس كلهم يجدون تمرًا في بعض الأزمان، وربما يحصل عليهم في بعض الأوقات مسغبة جوع وشدة خوف، وَحِصـار وقتل ونهب بسبب مُغايَرَة الحكام (الملوك)، يأتي هذا الحاكم فيستولي على البلد، بعد قتال ونهب، ثم يأتي الحاكم الآخر، فيحاصرهم ويحاول الاستيلاء عليهم، وقد يعاقبهم على مُوالات الحاكم الأول، فلا تزال البلاد مُضْغَة آكل، حتى قَيَّضَ الله الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى، فحكم البلاد ووحدها، إذ لم نعرف في التأريخ، مثل ما حصل لنا في هذا الزمان، في ولاية آل سعود والحمد لله، من الأمن في الأوطان، والصحة في الأبدان، والأمن على الحقوق والأنفس، ورغد العيش، وتقارب المواصلات وظهور الإسلام، وعلو كلمة الله، أطال الله عزهم وهدايتهم، وتوفيقهم، وأبقاهم للعباد والبلاد والإسلام، آمين. اللهم صلِّ على محمد. (انتهى).

* * *

# تعبئة التمر في القديم

حيث كان التمر هو عمدة قوتهم: فإنهم يهتمون بتعبئته، لحفظه وصيانته وعدم فساده مدة بقائه عندهم.

**فأولاً**: لا يصرمونه من النخل حتى يستكمل استوائه: بأن ينشف فلا تجد فيه بسرًا ورطبًا إلاَّ قليلاً، وكانوا يبنون له ظروفًا كبارًا، هي: (الجصة أو الصوبة)، فكل بيت تجد فيه جصة مبنية لضمد التمر، يأتون بحجارتها من الجبل، حجارة رهيفة، عريضة: (أي خفيفة واسعة)، واحدها فرش، وجمعها فروش: فالكبير منها يبطحونه قاعدة لها فوق الأرض فوق مناصب ترفعه عن الأرض، ثم ينصبون الفروش الرهاف على جوانب القاعدة، مربعة على نحو سعة سبعين أو ثمانين سنتي متر، يربطون ما بينها بالجص، بعضها فوق بعض، بارتفاع نحو مترين، شبه برج، لا يتصل بها جدران حتى لا يدخلها القعر: هو كبار النمل يوجد في البيوت وحول الماء في المزرعة، لأنه يحرص على أكل التمر فيفسده، ويختمون أعلاها طمومًا، والباب تحته في أحد الجوانب مدورًا نحو سعة ذراع بذراع، وقد تركوا فتحة صغيرة في أسفلها، نحو نصف بوصه على عظم فخذ شاة، يخرج منها الماء والدبس.

فهذه صفة بناء الجصة.

أما الصوبة: فإنهم يبنونها حوضًا كبيرًا في جانب الغرفة، لضمد التمر المعد للتجارة، لأنها تحضن تمرًا كثيرًا حسب الطلب، والجصة أصون للتمر: مع بطيء الوقت لسنتين وأكثر.

أما صفة ضمد التمر: فبعدما يجمعونه بعضه على بعض، يقومون بتنسيقه وتنقيته، وقد سبق أن وضعوا على فم مخرج الماء والدبس في قاعة الجصة من الداخل شيئًا من عودان العذق (العرجد): حتى لا يسده التمر فيمنع التسرّب، فيضعون فيها التمر المنقّى شيئًا فشيئًا حتى تمتلىء أو ينتهي التمر، فإن كان التمر ناشفًا جدًا بحيث ترك في الشمس حتى نشف: فهو يحتاج رشًا بالماء ليتماسك فلا يدخله السوس: فيتسرب الماء على القاعة ويخرج من المدبسة، فيأخذونه ويرجعونه عليه رشًا من فوق، فيتسرب فيردونه عليه رشًا من فوق، وهكذا حتى يستغلظ الماء ويكون دبسًا زائدًا عن حاجة التمر، فيجمعون الدبس في أوعية وأواني، يباع ويؤكل مع الخبز وبعض الأطعمة، فإذا انتهى تسربه أغلقوا المدبسة (مخرجه)، وتركوا التمر هكذا عدة أيام، ثم يقومون بضمد التمر قبل دخول المربعانية، فيضعون عليه فراشًا من الخوص (السعف)، ثم يضعون عليه حجارة أو نحوها، يرصونه ويثقلون عليه الرصايص من أجل صلاح التمر وعدم فساده، فلا يضره طول البقاء بعد الرص الجيد.

وإن كان التمر غير ناشف فلا يحتاج رشًا بالماء، وإنما يحتاج رصًا بعد التعبئة، ثم بعد أيام يرفعون الرصايص ليأخذوا منه كل يوم

حسب الحاجة، وهكذا تعبئة التمر في غير الجصة والصوبة، إلاَّ أنه يحتاج تقليبًا بعد كل ثلاثة أيام وخمسة، من جنب لآخر حتى يداخله الماء والدبس. ويختلف التمر نوعية: فأحسنه تمر الشقرا، للضمد، وطول البقاء، وموافقته لطبيعة كل جسم.

أما صفة إخراج التمر من الجصة: هو أنها تقف المرأة أو غيرها أمام باب الجصة فوق حجر أو نحوه يرفعها، وقدَّمت صحن التمر (الإناء) أمامها في الداخل، وتدخل رأسها ويديها، وفيه عود مذروب رأسه تنقث به التمر المتماسك بعد الرص، وتجعله في الصحن أو غيره تخرجه به، (إلاَّ المرأة الحامل لا يصلح دخولها الجصة حيث يضر على جنينها) وإذا نزل التمر تحت: وضعوا حجرًا خفيفًا (فَرْشًا) فوق التمر تجلس عليه إذا دخلت فيها. لكن كيف تنزل في الجصة؟: هم قد جعلوا مرقاةً في أثناء الجصة، حجرًا صغيرًا خفيفًا، بالعرض تحت الباب شبه رف في الخارج والداخل، تطأ عليه برجلها وترتفع فوق، (وتحت السقف من الداخل عود معترض تتمسك به وتُدْخِل رجليها في الجصة ثم جسمها) وتنزل على التمر تنقث وتناوله غيرها، ثم تخرج كذلك رأسها أولاً وجهها إلى فوق، شبه خروج الجنين حالة الولادة. (انتهى).

* * *

## رزقي يجيني لو كل حي يحايله

كان حجرف الذويبـي من قبيلة حرب، وكان شجاع كريم، وله أخبار نوادر.

من ذلك: قيل إنه كان في بداية أمره، قد صاحب إحدى قبائل عنزة، فكان ينزل ويرتحل معهم ومعه زوجته، وذات ليلة سمع صبيان الجيران يبكون، فقال لزوجته اذهبـي انظري لماذا يبكون؟ فقال الجيران ليس لنا عشاء فهم يبكون جوعًا، فقام حجرف وذبح ناقته، فلما سمعه الجيران أتوا إليه: لماذا ذبحتها؟ فقال: تعالوا اصلحوا لكم عشاء من لحمها، فلاموه على ذبحها، لأنه ليس لديه من المال غيرها، فقال تعشوها والرزق على الله سبحانه، فلما أصبحوا: وكانوا على أهبة ارتحال: فارتحلوا وبقي حجرف في منزله هو وزوجته، كأنه كداة على شجرة، رغم أنه كان عزيزًا عندهم، وقد نحر لهم ناقته، وليس لديه بعير يركبه، ولكنهم بسبب مكانته عندهم تواكلوا فيه فكل واحد يقول في نفسه من يحصل له حجرف يحمله؟ فأنا لو ذهبت إليه وجدته قد حمل، فارتحلوا وبقي، وجعلت زوجته تلومه وتشمت به، تقول تنحر ناقتك وتبقى وحدك خلاوي! فقال لها: لا يضق صدرُكِ سوف تيسّر الأمور إن شاء الله.

فأخذ بندقيته وذهب يتطلب الكسب، وهو نهب الإبل من بعضهم وكانت عادة عندهم، ويعدونها رجولة وشجاعة، لأنهم في زمن فوضى ناهب ومنهوب، فبينما هو كذلك إذ أقبل حوله أربعة رجال راكبين ناقتين، فقال لهم: يا الربع أنا أبغي الركايب، ولكن انزلوا عنهنَّ وابعدوا إن كان لكم في أنفسكم حاجة؟ فقالوا: إهيب ـ إهيب (وهي كلمة للبادية تقال للتخسئة والتخييب) فقال: أنا لا أريد قتلكم ولكن انظروا غزالة الشداد، فصوب فيها سهم البندقية فضربها فقط، فقالوا: إهيب ـ إهيب، فقال: انظروا بطان الناقة: وهو حبل يربط به الشداد من تحت بطنها، فضربه ولم يخطر على بطن الناقة، فعرفوا أنه بواردي، (وهو الذي لا يخطىء سهمه الهدف) وسوف يقتلهم إذا لم يسلِّموا له، فسلموا ونزلوا وتركوا له الناقتين، فركب واحدة ومسك خطام الثانية، وأتى إلى زوجته وقال شعرًا:

| | |
|---|---|
| أنا إيلا ضاقت الأمور عليْ توسعت | ما نيب دِعْبُولٌ همومه تشايله |
| رزق غيري يا ملا ما يجيني | ورزقي يجيني لو كل حي يْحَايْلِهْ |
| يرزقني رَزّاق الحيايا بغوره | لا مخايلة برق ولا هيب حايله |

وذلك لأنه شاهد في طريقه هذا، حية كبيرة عمياء من الكِبَر، تخرج من جحرها إلاَّ ذنبها تبقيه في الجحر لئلا تضيع عنه، فتمد جسمها واقفة كأنها عصا وتفتح فمها فيأتي بعض الطيور الصغار يحسبها عودًا يقع فوقه فتمسكه بفمها وتبتلعه ثم تدخل في جحرها.

**الحاصل**: أنه أركب زوجته على الناقة الثانية ولحق ربعه، ولكن ربعه لما وصلوا المنزل تساءلوا عنه؟ فرجعوا يتطلبونه وإذا هو قد

* * *

# لا يجوز الاستفتاح بالمكروه

كان رجل شايب ضعيف الإبصار، ويمشي في طريق على رجليه، فلحقه صاحب سيارة، فأوقف سيارته وأركبه، فلما حرك صاحب السيارة، قال الرجل الشايب: ترفّق يا خوي تراي أنا ما عمري ركبت مع أحدٍ إلاَّ يحصل عليه حادث، فأوقف صاحب السيارة، وقال: انزل هنا إذًا؟ فقال الرجل: لا ما هنا إلاَّ العافية إن شاء الله، فقال السائق: والله ما يدور كفرها وانت عليها: فأنزله، ثم سار وتركه، لأن الشايب استفتح بمكروه، والاستفتاح بالمكروه لا يجوز ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال/ ١٩].

فـائـدة:

قيل: (لا تُعْلِمْ أهلك ولا غيرهم بعدد مالك، فإنهم أن رأوه قليلاً استهزلوك، وإن رأوه كثيرًا لم تبلغ به رضاهم).

وقيل: (كل إنسان له سر في خاصة حاله فلو أفشاه لأحد لفسدت حاله). (انتهى).

* * *

# أمثال

قيل: (اللسان عدو الإنسان).

قيل: (أعمال القلوب بحر لا ساحل له من خير أو شر).

وذكر الشوكاني في «الفوائد المجموعة» قال: (حق كَبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده).

وفي الأثر: (إن من علامات خروج الدجال: أو قال اقتراب الساعة: أن تفتح الفطنة على الناس)، وهذا شيء مشاهد في وقتنا، قد فتحت علينا الفطنة حتى تجد ابن سبع سنين يعرف أمورًا لا يعرفها ابن سبعين سنة.

قيل: (اللي ما قرأ درى) يعني: ليس لأحد عذر في معرفة الدين.

وقال ابن الوردي:

ملك كسرى تغني عنه كسرةٌ ... وعن البحر اجْتِيازٌ بِالوَشَلْ

الوشل: هو بقية ماء قليل في البر من أثر السيل، يغنيك عن البحر إذا قنعت، كما تغنيك كسرة الخبزة عن مثل ملك كسرى: فيغنيك قليل المال عن كثيره.

وفي الأثر: (أحب الخلق إلى الله أنفعهم لعباده).

ويقال في تمجيد الرب سبحانه: (اللَّهمَّ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك). قيل:

**لعـل عتبـك محمـود عـواقبـه وربمـا صحـة الأجسـام بـالعلـل**

(انتهى).

* * *

# من لا يدوس الراي؟

كان شيوخ القبائل، يفدون على الملوك، يهدون إليهم وِدّهم وتَبَعِيَّتَهم لهم (ليعطوهم جوائز على ذلك)، فوفد أحد شيوخ القبائل على الشريف في مكة، واستأذنه للمواجهة والسلام، فخصره الشريف، فلما كان اليوم الثالث: كتب قصيدة وأرسلها للشريف، ثم ركب ورجع والقصيدة منها قوله:

كَلْ القلـم مِـنْ كَتْبنـا للقـراطيـس     واركـابنـا مـن كثـر الادلاج تـومـى
ومن لا يدوس الراي من قبل ما ديس     عليــه داســوه العيــال القــرومــى
والجدر ما يبنى على غير تسويس     ومَــنْ لا تعلــم مــا تفيــد العلــوم
ومن لا يقدم شذرة السيف والكيس     يبــدي عليــه مــن الليــالــي ثلــوم
بالليل اصالى حاميات المحاميس     والصبــح اطــارد كــل قبًّـا قحــوم
وايلا اجتمع شر الملابيس وابليس     يـا سعـد مـن هـو حـظ ربعـه يقـوم

فلما قرأ الشريف القصيدة أرسل إليه وإذا هو قد خرج من البلد، فألحقه جائزته بعد وصوله أهله، والقروم هنا: هم الرجال الشجعان، وكذلك المرأة القرمه، يعني أن الحكم ما يستقيم إلاَّ بالأحمرين: الدم والذهب، فبذل المال يرغبهم فيه: والسيف يطوعهم ويخيف الآبين والمعتدين، كما قال الشاعر الآخر:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى    حتى يُراقَ على جوانبه الدم

وقال آخر أيضًا:

الحكم ما يأتي بحبر وقرطاس    ما يأتي إلاَّ بامصقلات الهنادى

(مصقلات الهنادى: هي السيوف) يعني القوة الحاكمة.

وكانوا يسمون الراديو، الصندوق أول ما ظهر، ويوجد في الكويت قبل وجوده في نجد كما قال:

إيلا ضاق صدري نحرت السوق    سوق به السرج مشبوبه
سوق يغني به الصندوق    لمضيع الدين لعبوبه

ويسمون السفر للكويت والعراق حدور، (فلان) حدر للكويت حدر للعراق، كما قال:

إذا حدرنا نكرنا    والتِّتِنْ شاربينه
وايلا طلعنا اعتذرنا    واليمين مطرفينه

وهذا نوع من النفاق والوقاحة، والمعافى في نعمه، من عوفى فالحمد الله. (انتهى).

* * *

## إرشادات زراعية.. ومشكلة رُقِي النخل

كان أهل نجد وعامة وسائل الحياة عندهم، منتوجات وطنية زراعية، ومصنوعات لهم يدوية، في مجال شتى متطلبات الحياة: يتوارثون معرفة الإنتاج الزراعي والصناعة اليدوية: صاغرًا عن كابر، قد سَهُل عليهم مزاولة الأحوال الزراعية، ومباشرة الصناعة، لتجاربهم فيها طول الأزمنة، فلا يستوردون من الخارج شيئًا من مستلزماتهم، إلاَّ رقيق الثياب، والقهوة البن، وبعض الأدوية الشعبية العادية، يركبونها حسب معلوماتهم وخبرتهم ويستعملونها، وصفائح الحديد فيعملونها حسب الطلب.

فالأحوال الزراعية وأوقاتها: قد ضبطوا لها قواعد كلمات وأمثال يعرفون بها الأحوال المفيدة من غيرها، إذا سلمت الثمرة من الآفات السماوية، مثل قلَّة المطر، أو البرد، أو البرد، أو الجراد، أو هجوم العدو أوقات الحروب والنهب والسلب، أو الجرب في الإبل، أو الأمراض في الثمار ونحوه، فوقوع المساغب والجوع بسبب بعض هذه الآفات.

ومعظم معتمد الاقتصاد على مادتين من الإنتاج الزراعي.

**أحدها**: التمر (ثمر النخل)، **والثانية**: (القمح بأنواعه)، فأكثر جهودهم لتغذية النخل لإنتاج التمر، ويعيشون عليه وحده بعض الوقت مع اللبن، وقد لا يتوفر لهم وجوده كل وقت، كما يصفون بذلك الإنسان الغني، فيقولون (فلان لو بَغى حَطْ عيده تمر)، يعنون أنه: يستطيع ذلك.

ويوجد هنا نخلة تسمى شقرا مبارك، كانت هي جملة نخل الوطن المعتمد، تمتاز على غيرها لصلاحية تمرها في كل وقت رطبًا وتمرًا، ومراءته في المعدة بعد أكله فلا يسبب حرارة في الكبد ولا أمراضًا سكرية، وبقاء تمرها مدة طويلة صالحًا للأكل، سنتين وثلاث وأكثر: إذا كان مضمودًا مرصوصًا رصًا جيدًا، لأن صلاح التمر قوة الرص بعد الضمد، حتى لا يفسده السوس.

واليوم وإن أقبل الناس في هذا الوقت على بعض النخل غيرها، لكنه لا يطول بقائه إلاَّ مع الثلاجات، أما تمر الشقرا فهو الضميد العالمي، في الحر والبرد وكل وقت: فيجب أن ينظر لها نظرًا عامًا لتوفير وجودها، فقد تركت وآذنت بانقطاع.

قال الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى: (غَبَنْتُمُونا يا أهل القصيم في ثنتين (السَّلِيم ــ وشقرا مبارك)، وآل سليم هم علماء بريدة سابقًا، كانوا عيبة نصح لآل سعود وغيرهم من المسلمين، وأهل عقيدة طيبة، لأنهم تلاميذ لآل الشيخ بالرياض، وظهر تلاميذهم غالبهم علماء صالحون رحمهم الله أجمعين، والإمام عبد العزيز قال ذلك تنبيهًا على فضيلة ما ذكر، رحمه الله.

ولا يمكن يعيش عامة أهل نجد بدون تمر، والازدهار الاقتصادي غير مضمون، فلا أضمن من الإنتاج الوطني فحافظوا عليه. ويروى في حديث أو أثر (بيت ما فيه تمر أهله جِياع)، وذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه (الطب النبوي)، حرف (ت)، أن التمر غذاء جيد، مقوّي للقلب والدم، إلاَّ مَنْ به ضعف كلوي فهو لا يتحمله لقوته: أو كما قال.

**والمشكلة** هذا الوقت: هو عدم تعلّم الناس رقيّ النخل، حيث يحتاج رقي النخل تعلّم من صِغَر، ولا يصلح رقي النخل إلاَّ بآلة الرقي: الحبل المعروف (الكر)، فإذا تعلّمه من صِغَرِه سهل عليه الرقي به وإن كانت النخلة طويلة.

كان رجل هنا موجود حتى الآن، وكان غالب عمله وقت شبابه رقي النخل، فجرى بينه وبين بعض الجماعة رهان، على أن يصعد هو النخلة الطويلة بالكر وهم يركضون في ظله ظل الضحى أيهم يسبق فسبقهم.

**ولكن** مشكلة المشكلة هي: أن أهل وقتنا لا يستطيعون رقي النخل ولو أرادوه، لأن أقدامهم قد استرهفت بسبب دوام لبس النعال، وجذوع النخل فيه خشونة لا يستطيعها القدم الناعمة، فإن أقدام الناس كانت خشنة جدًا، لأنهم لا يلبسون النعال إلاَّ قليلاً، ولا كانوا يحتاجونها لأن أرض البلاد كلها طبيعية، فالبيوت أرضها تراب طبيعي، والشوارع والطرق والبركله تراب طبيعي، ولا كان يوجد زجاج يتحطم في الطرق فيخاف منه، ولم يوجد الاسفلت، حتى النساء والصبيان لا يلبسون نعال، فأصبحت أقدام الناس خشنة غليظة الجلد، تتحمل

الشوك الخفيف والحجارة الخفيفة والحر والبرد الخفيف، من ذلك رقي النخل لا يهمهم ولا يحسون بخشونته، فتجد الرجل طول نهاره يصعد في النخل الطوال وينزل يعمل فيها لا يشكتي رجليه ويعتمد على الكر حول رأس النخلة ويعمل كأنه جالس على كنب.

ولا يصلح الرقي بالنعال أو الكنادر فتزل الرِّجْلُ من النخلة فيسقط.

أما وجود العمال الآن لرقي النخل: فهو وجود مؤقت، فإذا لم نجدهم يومًا (ما): فمن يعمل لنا النخل؟ أو نعدم هذه الثروة الوطنية الضرورية؟ شوفوا لنا حل للموضوع؟

وأدنى الحلول اليوم: إذا أراد أحدنا أن يحاول يتعلم رقي النخل بالكر، فلا بد أن يُمَرِّن قدميه على المشي بدون نعال، تدريجًا في الأرض الترابية حتى يَمْتَنَ جلدها ويتمرن على الخشونة، ويمكن الرقي بالشراب الغليظة، لكنها قد تتخرق سريعًا، وأحسن منها أن يربط على بطن قدميه طبقة واحدة من جلد الشاة المدبوغ تكون لحمة الجلد خارجًا مما يلي الأرض فهو أبقى من الشراب، ولا تزل برجله من النخلة، كما أنه يبدأ برقي النخلة القصيرة: يصعد وينزل ـ يصعد وينزل، ثم بالتي أطول منها وهكذا.

ولا تستهزل ما ذكرته بهذا الفصل، فربما اضطررت إليه يومًا من الأيام فتذكر المثل: (تعرفني يا غريري إذا جربت غيري).

أما رقي النخل باليدين، أو سُلّم، فهذا شيء لا يعول عليه في تأمين حصول هذه الثروة الهامة.

أما قواعد الكلمات، التي يعرفون بها الأوقات والأصلح في الأحوال الزراعية: فأكثرها ينسب للخلاوي راشد (راعي الأمثال)، وهي قواعد صحيحة: عرفت بالتجارب طول الأزمنة، ومعرفتها بسيطة، هي: مثل قولهم (قَلِّلْ ــ ودَلِّلْ): أي قلّل الزرع أو النخل وأعطه ما يحتاجه من الخدمات، التي هي حرث الأرض وقت الشمس وتشميسها وتسميدها ثم سقيها سقيًا كافيًا، فهو أفود لك وأقل تعبًا من كثرت الزرع أو النخل وإهماله.

ومنها قولهم: في مدح الدمال ــ السماد البلدي للزرع (الدَّمال أَدَّ المال)، يعني أن الزرع على الدمال يفيد مالاً أكثر. ويحرصون على تحييل الدمال، وجمعه وسقيه، وتركه في مكانه لعدة أيام أو شهور أو سنين، ليستحيل مفعوله جيدًا وتموت بذور الأعشاب فيه، كما يقال: (سماد مُحَيَّلْ)، وكانوا لا يزرعون الأرض كل سنة أبدًا، فلا بد أن يُحَيِّلوها سنة أو سنتين لتستجم قوتها الإنباتية، فيقولون (لا تزرع المِلال ولو كان برأس الدمال)، ويقولون (المِلال ذهاب المال)، والملال هي: الأرض الغير محيلة: قد ملت النبات، فينقلب زرعها أعشابًا كما هو الواقع اليوم، أو يغيرون عليها نوع الزرع فلا بأس.

ومنها قولهم: (إحذر: الْمَلاح ــ والنِّزاح ــ والْمِتاح)، يعنون البئر إذا كان مائها ملح فهو لا يُنْتِج، وإذا كان مائها قليلاً وهو النِّزاح فإنه لا يمكنك توسيع الزرع، وأما المِتاح فهي البئر البعيدة الْمَجَرْ (الْمَتْح) العميقة فهي تتعبك ولا تحصل على ماء يكفي.

ومنها قولهم: (إذا غاب المرزم فالزم): يعنون: إذا غاب بعد صلاة الفجر فأمسك عن بذر الزرع القمح فقد انتهى وقته، (آخر المربعانية)، ومنها قولهم: (ما بالرِّمال مال)، يعني الأرض الرملية غير مثمرة وتحتاج زيادة ماء، ويحرصون على حفظ مجاري الماء بالطين، إذا كانت الأرض رملية، وهي سواقي الزرع، لأن إخراج الماء متعب فمحصوله قليل كما في المثل: (طَيِّن السِّرِي وإلاَّ زِدْ جَمَل)، يعني في إبل السواني، والسرى هو ساقي الزرع. ومنها قولهم:

**كل رِبْعِيٍّ من المال ناعم      وكل صيفيٍّ عليه آفات**

يستفاد منه التبكير بكل زرع بوقته، وبكل إنتاج من الدواجن بوقته، فالرِّبعي هو المبكر.

وكانوا يحرصون على جني الثمرة والقبض عليها من حين تنضج، وتحصينها في البيت وغيره يبادرون الآفات والنقايص، فيقولون:

**(كل راضة بها اخْيِره      إلاَّ العرس والثمره)**

وكانوا يقنعون من الزرع بما يحصل منه من الغلة، فيقولون (لو حَسَّبَ الزارع زرعه ما زرع)، يعني لو حسب نفقاته وأتعابه على الزرع قَبْلُ لَما زرع، وكانوا لا يرغبون تقارب النخل حالة غرسه، فيقولون: إن النخلة تقول في حق أختها: أبعدها عني وخذ حقها مني)، تعني ثمرها: فإذا تباعد النخل كان أكثر وأطيب ثمرًا، وإذا غرسوا فرخ نخلة فإنهم لا يعمقونه في الأرض، فلا يدفنون منه إلاَّ محل العروق (الشروك) فيقولون: (غرس النخلة مثل حُبالة الفخ)، وينصبون له خشبة

أو ثلاثًا متقابلة تمسكه عن هز الرياح حتى يشرك. وكانوا لا يتركون بالنخلة ثمرًا أكثر من طاقتها المعتادة، فيقولون (من بغاه كله خلاه كله)، وهو مثل عام لكثير من الأحوال والأشياء)، يعني إذا أثقلت النخلة فقد يموت ثمرها الحاضر، وتحيل السنة الثانية، ووقت التخفيف منها هو مع الرَّكاب، ولا يقطعون من النخلة عسيبًا أخضر، لأن قطعه يضرها ويضعفها يشبهونه بقطع الظفر الحي من الانسان، فلا يقطعون عسيبها حتى يصفر أو ييبس، في وقت الرَّكاب، ولا يتركون فعل الأسباب وأعمال الحراثة وغيرها، فيقولون: (ما بين أغماظ عين وانتباهها يبدّل الله من حال إلى حال)، وكانوا يحرصون على ملاحظة الفلاحة (المزرعة) والقيام بما تتطلبه من عمل كل شيء بوقته، فيشبهونها بالنار: لإيقاد الحطب عليها، فإذا غفلت عنها طفأت ورمدت: فكذلك الفلاحة إذا تكاسلت عن بعض أعمالها: رمدت وعشمت مثل النار حالة تركها. ويقولون في سقي النخل:

سَقْيُ القَيْظ يا مَيْ طِلْعٌ مُقابِل وسقى الشتا يا مَيْ كُبْر اعذوق

وكانوا يحبون العمل والتعب الذي يعقبه إعاشة، فيقولون (مَنْ لا يُغَبِّرْ شاربه فهو ما يدسمه) وذلك أن أكثر أعمالهم كانت صحراوية، فيظهر لها غبار مما يعلق بالثياب واليدين والرجلين حتى على الوجه والشارب، ثم بعده يحل محله الأكل الذي فيه دسم (هو الدهن)، فيظهر له أثر على الفم وعلى الشارب حوله، وإذا لم يعمل ويتعب لم يحصل له طعام دسم له أثر على الشارب، فهذا هو قولهم (من لا يغبر شاربًا لا يدسمه).

زرع رجل من الزراع هو وأهله وأولاده، قمحًا في بعض حارات المزارع، فلما استتم الزرع قبل الحصاد، رَوَّحت عليهم سحابة صيفية فيها سيل وبَرَد وعاصف شديد، فاجتاحت زرعهم، فما أبقت منه حبة واحدة، بعد أن أنهك الزرع جهودهم: فأصبحوا في كآبة وحزن: فلما بردت مصيبتهم بعد أيام، قال الرجل لأولاده: إن الكسل والاستماتة للقدر لا يجوز، فقوموا نعارض القدر بقدر آخر: فلنعمل الأسباب، والتوفيق على الله سبحانه، فقاموا وزرعوا زرعًا صيفيًا (قيظيًا) وهو الذرة البيضاء والقرع الدُّبَّا والبطيخ، وكان يوجد في نجد قرع دبا يسمى (قرع شام) ثمرها كبيرة مدورة مضلعة، لونها: (أبيض ـ أخضر ـ أزرق)، وتنبت على كل ماء وفي كل أرض، وتنتج كثيرًا جيدًا إذا كانت على سماد عضوي، ويعتمد عليها جزأ من الاقتصاد، ولكنها تركت في هذه الأوقات حيث ازدهر الاقتصاد فعدمت بذورها، وقد رزىء الاقتصاد بفقدانها.

الحاصل أنه جاد زرعهم، وجعل الله فيه بركة، فتحصل فيه ضِعْفَيْ ما يحصل بزرعهم الشِّتْوِي التالف، والحمد لله رب العالمين.

أما انقطاع الصناعات اليدوية الوطنية اليوم، فلا ضرر على الوطن بانقطاعه، فبعضها تركت الحالة التي يصنع من أجلها، وبعضها استبدل بصناعات خارجية، حتى إن بعض أهل الوطن اليوم يأخذ نوع الآلة أو الأثاث المصنوعة الوطنية ويذهب بها إلى بعض المصانع الخارجية يصنعون له عليها كميات يستوردها يبيعها هنا.

وكانوا يقولون: في حق الزرع (القمح):

اِنْسَقَىْ على ماهان تسعين ليله　　وشهر وعشر ما لماه افتور

فإنهم إذا سقوه السقية الأولى (النهل) تركوه أيام المربعانية كلها لا يسقونه أبدًا ولو عطش، حتى لا يشرق (ينكز) فإذا دخلت الشبط لازم يسقونه الْعَلَلْ لأجل يُشَرِّك بالأرض، يسمونه (التكليب) كما قال الخلاوي في ذلك:

من لا يْسَقِّي دحرة الكلب زرعه　　تراه مفلس منها ليال الحصايد

والكلب هنا: هي شروك تظهر فيه هذه الأيام مع السقي، تدحر بالأرض، هي عمدة الشروك، ثم يدثونه بالكيماوي أو شبهه.

وَيُماشونه بالسقي الخفيف إذا رأوه عطش من غير اهتمام، حتى لا ينمو فينام، إلى أن تدخل العقرب الوسطى فيزيد احتياجه للماء، فيزيدون بالسقي، فإذا اشتد حبه زادوا سقيًا، وأشده (السقية الأخيرة والتي قبلها)، يغتنمون نمو الغلة.

(ووقت بذر الزرع (القمح) أيام المربعانية كلها، والمبكر أطيب ولكنه أكثر خطرًا يدركه البرْد. وكانوا يقولون:

يا الله بتال العقربيات سيله　　عروق الحيا تسقى عروق الهشايم

يفرح بها راع السواني الهزال　　حيث ان فضلك على الناس دايم

وكانوا يقولون:

لولى العقارب وبَرْدِهنّ　　كان العجايز يزرعنّ

يشجعون أنفسهم بذلك، على الصبر على البرد وعمل الزرع. ويقولون: (إذا دخلت العقارب فالخير قارب) يعني يبدأ العشب

للمواشي، ويبدأ الحليب فيها، ويأتي الدفيء، ويقرب نضوج الزرع (الشعير: للسويق). ويُصَبِّرون أنفسهم على العمل حالة البرد فيقولون:

**إذا صـرت بـردان ولا عليـك ثـوب   خـذ مـن المسحـات ثـوبًـا دافـي**

وهو صحيح، فالتعب يضاد البرد، حيث يتحرك الدم وتقوم الحرارة بالجسم، ويقولون: (بالعقرب الوسطى يشيح المشرب) والمشرب: هو الذي احتاج الشرب، كما يقولون فيه: (صاح صَيَّاح النبات)، يعني: للمسابقة في النمو، ويقولون: (اقفيصات الربيع ذبحن اثوير ولا سلخوه إلاَّ بالظلال).

والقفصة هي: برد الأرض في الصباح حيث لم يكن عليهم نعال.

وبعضهم حكيم في استغلال البرسيم، فيجعله قسمين: قسمًا يرويه بالصيف فتجود غلّته، ويقلل سقي الثاني، ثم يسقيه بالشتاء تجود غلّته ويترك الأول تستريح جذوره وهكذا.

**تنبيه: للقضاء على عامة الأعشاب في المزارع:**

تحرث الأرض وتسقى ويتابع عليها السقي حتى تتكامل نباتًا، ثم تنشف قليلاً، ثم تحرث وتترك تَشْمِس كي تموت الأعشاب، ثم تحرث ثانية وتسقى ينبت بقيتها، ويتابع عليها السقي حتى تتكامل نباتًا، فتحرث قبل يظهر لها بذور وتترك تموت جذورها، وتلاحظ الأعشاب تقطع يقضى عليها قبل يظهر لها بذور، فبذلك تقل أو تعدم. (انتهى). والله أعلم وصلَّى الله على نبيِّنا محمد.

* * *

# ليست الأرض تـدور..

(هنا دليل عقلي مشهود).

كانت سنين مجدبة في نجد، فيما قبل عام ١٣٥٠هـ تقريبًا، ولكن جاءت سحابة عظيمة من الغرب للشرق على خط سواء، فأتت على أعالي نجد، على القصيم، فأتت على بريدة وعنيزة وهم في المساجد يصلّون الظهر، فأغرقت البلاد، وامتلأت المسايل، وسقطت بعض البيوت (الطين) ومضت شرقًا فأتت على الكويت وهم في صلاة العصر، فأغرقت البلد كذلك، فأنا أدركت الناس يتذاكرونها ويؤرخون بها (سنة الغَرْقة) ولكنها أنبتت الربيع جيدًا فيما أتت عليه، فتحولت البادية في مسحبها ونزلوا في مجراها من أوله إلى آخره يرعون فيه مواشيهم.

فيستدل بها على أن الأرض ليست تدور، لأن السحابة في الجو ومسحبها في الأرض معتدلاً، من أعلى نجد، على القصيم، على الكويت ليس فيه تقويس، فلو كانت الأرض تدور لكان أثر السحابة على الأرض مقوسًا.

والآن: سئلت عنها رجلاً هنا، كبير السن؟ فقال: نعم أنا أعرفها، جرت الغرقة وأنا جذع، وأبوي زراع في إحدى ضواحي البلد، ومن

توفيق الله بحسن الحض، حين استوى الزرع (القمح) انبعث لأبـي عمل هناك، فأسرع في حصاد الزرع وطيابه، ليتفرغ لذاك العمل، وستفزع معنا من يساعدنا، فلما أدخلنا العيش (القمح) في البيت وبقي التبن مكانه، والناس يعملون في زروعهم، فأتت السحابة وأغرقت زرع بعض الناس، وذكر أنها كانت نحو عام خمس وأربعين وثلاثمائة وألف. (انتهى).

* * *

# احفظ اسرارك

قيل:

من لم يكتب رسالته ويقراها   فليختر غنمًا أو بقرًا يرعاها

كان الناس قليل فيهم الكتابة والقراءة، فيتطلبون من يكتب لهم أو يقرأ عند الحاجة، ولهذا كان خط الرجل معروف عندهم كما يعرف وجه صاحبه، ويُعَرِّفه هو أيضًا بكتابته في آخره (وكتبه فلان ابن فلان وشهد بما فيه)، ونحو ذلك: ويُشْهَد بمعرفة خطه عند حاكم الشرع، ويحكم بموجبه إذا عرفت أمانته.

قيل: سافر رجل يتطلب أسباب المعيشة في بلد هناك، وكان هو يكتب ويقرأ، وكانت زوجته كذلك، فكتبت له رسالة في بعض أحوالها، فلما وصله الكتاب اعتزل الناس وقرأ الكتاب ومزقه وألقاه في الأرض وقام وذهب، وإذا رجل آخر يبصره، فأتى إلى الكتاب الممزق وجمعه بكفه وذهب به إلى محله فجلس وجعل يَصُفُّ قطعه إلى بعضها (يؤلفه) حتى قرأه كله وعرف سر الرجل وامرأته، وجعل يحدث به.

فأنت لا تلقى كتاباتك هكذا إذا انتهيت منها، ولكن أحرقها بالنار ونحو ذلك حتى تتأكد من إعدامها. قال شاعر:

إفهم جوابي ثم وَلِّغْ به النار     واحذرك لا يظهر على كل قاري

(انتهى).

**ومِنْ استثمار المنافع:**

استأجر رجل بيتًا في البلد يسكنه: السنة بعشرة ريالات: وكان فيه نخلة تابعة له ولكنه فحل.

فهذا الفحل في هذا البيت أثمر عشرة قنوان، فقطعها المستأجر حين استوت وباعها الواحد بعشرة ريالات أي بمائة ريال فدفع منها أجرة للبيت، فصارت سكناه فائدة وزيادة ● قولهم: (كُنْ مِنْ أهل الثقة على ثقة)، يعني كن على حذر منه ولو أنه ثقة.

كلمة كَلاَّ لا توجد في النصف الأول من القرآن: فقد دعت امرأة على الحجاج: فقالت: (نزعك الله من ملكك كما نزع كلا من النصف الأول). (انتهى).

* * *

# تماسك العوائل

نشأ رجلان أخوان من رجال البادية، وداموا شراكة في المال والحال، ونشأ لأحدهما أولاد، والآخر عقيم ليس له اولاد، ثم افترقوا واقتسموا المال، فقال أحد أولاد الرجل: (أنتم قسمتم المال لكن لم تقسموا العيال (عمي ليس له أولاد فلا يترك وحده) فقال أبوه: إذهب فكن ابنًا لعمك، فقال نعم، فانضم هذا الولد بزوجته وأولاده إلى بيت عمه، وقام بخدمته وبره وشؤونه ورعى مواشيه، وصار هو وأولاده ألطف له وأعنى به من بعض الأبناء، فلقّبوا هذا الولد (عَطِيَّة) واشتهرت أسرته (بآل عطية) واشتهروا بالشجاعة والتماسك مع جماعتهم.

فمرة حصل بينهم وبين شيخ قبيلة أخرى بجوارهم: سوء تفاهم ونزاع، وهددهم ذاك الأمير بالحرب، فأخذوا يستعدون له، فهجم عليهم بقومه، فقاموا بحربهم، وانتصروا عليهم، (فقصد عطيةُ: ذاك الأمير ولحقه، فأدركه عطية، لكنه ضَنْ بالأمير عن القتل حيث قد انتصروا عليهم، فوضع الشلفا على متن الأمير والخيل في شد جريبها وقال: تعرفني؟ فقال الأمير: نعم نعم يا هن يا هن لا تِرْمِلْ نساء آل فلان)، يعني: قومه، فَكَفْ عطية عنه الشلفا وقال: (إخبرها عندك)، يعني: هذه الفعلة الطيبة، حيث أعتقه ولو شاء لطعنه، ولكنه

ضَنْ به فانهزم الأمير وتبعه ربعه، ونفك الحرب. وفي هذه الوقعة: قصيدة، تركناها اختصارًا.

**سافر** عطية هذا مع بعض رفاقه، هو زعيمهم ودليلهم، يريدون ميناء الجبيل للاكتيال، فأغارت عليهم غارة (قوم حرامية) أثناء الطريق، فقاموا بكفاحهم، فأصيب عطية بسهم في بطنه أجاده، لكنه شد عزمه وجلس على الأرض يرمي القوم يكافحهم مع ربعه، فاحتموا أنفسهم وإبلهم، وذهب القوم، فحملوه وساروا في طريقهم، فلما صار العصر قال لهم عطية: انزلو هنا احفروا لي قبرًا ما دام عليكم نهار فإني يمكن أموت بالليل، فنزلوا وجعلوا يحفرون القبر وهو يعلمهم كيف يحفرون وكيف يضعونه بالقبر إذا مات.

ثم جعل يوصيهم لطريقهم فقال: (شدوا عزمكم، وامضوا في طريقكم، واحموا أنفسكم، واعمدوا جهة أيمن الشرق، واقطعوا مذاري الشجر حالة سيركم، فإنكم سوف تَصِلُون قصدكم إن شاء الله، والله يعينكم على بكاء شايب يتلقاكم إذا رجعتم لأهلكم يريدني، يعني: (عمه) ثم مات بالليل، فَعَفَّروه (يمموه بدل التغسيل)، فدفنوه وساروا.

ومذاري الشجر: هو الرمل الذي تسفاه الريح وتزبره مستطيلاً حول الشجرة جهة الذرا، حيث قد أتتهم الريح من جهة الشمال.

أما العم: فإنه أوصى بماله لأبناء عطية، فوافق أخوه العاصب على ذلك، مكافئة لهم على صنيعهم فيه. (انتهى).

* * *

## غربة الدين في بعض الأزمنة

قـال:

وَاغُربة الدين فاعجب من تغربه    عند المصدق فكيف عند مكذبه

وقيـل:

يـا فتيـة الإسـلام هـذا يـومكـم    هيـا بـأخـلاق النبـي تخلقـوا
رصوا الصفوف ولا تعافوا ثغرة    ينـدس منهـا خـائـن ومفـرق
ودعـوا مبـادىء غيـركـم وتفكـروا    فيمـا حـوتـه مـن الفسـاد وحققـوا
قـرآنكـم يـا مسلمـون سنـائـه    كـالبـدر فـي كبـد السمـاء يتـألـق
العـدل مـوفـور بـه: وبغيـره    زور وبهتـان وظلـم مطبـق
عفـوًا رسـول الله يـا نبـراسنـا[1]    فلقـد أصـاب المسلميـن تفـرق
دب التنـاحـر والتبـاغـض بينهـم    فتفـرقـوا فـي دينهـم وتمـزقـوا
وتشعبـت طـرق الفسـاد فـواحـد    يـرف الثيـاب لهـم وألـف تخـرق
وسـاخـريـن يـرون ديـن محمـد    رجعيـة وبضـاعـة لا تنفـق
خسئوا فما عرف الحقيقة ملحد    ميـت الضميـر ولا جبـان احمـق
كـالببغـاء يقـول مـا يـروى لـه    جهـلاً يقلـد غيـره ويـزوق
متقلـب حسـب الظـروف فمـؤمـن    يـومًـا ويـومًـا كـافـر متـزنـدق

---

(١) النبراس: هو السراج والقدوة.

لا يستقر على قرار طبعه ... ومتى استقر في الحياة الزئبق
طلعوا على الدنيا بأخزى فكرة ... شوهاء ينكرها الحجي والمنطق
هدامة بأصولها وفروعها ... تزجي الأنام بما تريد وترهق
عجبًا أيسكت ذو الفضيلة والهدى ... وأخو المفاسد بالخنا يتشدق

ولما بعث الله الرسول محمدًا ﷺ بدين الإسلام، عارضه المشركون وتسلّطوا عليه وعلى أصحابه، ليمنعوهم من اتباع الدين، ولكن الله غالب على أمره. فمرة أخذوا أحد أصحابه وعذبوه ليرجعوه للكفر (فأبى) وأضجعوه ليذبحوه، فقال شعرًا:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أيِّ جنبيَّ كان في الله مضجعي
وذلك في ذات الإلـه وإن يشأ ... يبارك على أوصال شِلْوٍ ممزع

وهذه القصة رواها البخاري.

ولما وصف (ابن القيم) من أنواع العبادة لله تعالى: أفعال الحجاج والعمار، وأنهم أحرموا، ثم لبوا، ثم طافوا بالبيت، ثم سعوا بين الصفا والمروة، ثم حلقوا رؤوسهم قال: ثم حلقوا له الرؤوس، ولو رَضِيَ منهم لحلقوا له النفوس، كما بذلوها له في جهاد الكفار.

لما خلق الله العقل، قال له: إنِّي لم أخلق خلقًا أفضل منك، بك آخذ وبك أعطي، وبك أرحم، وبك أعذب، الحديث رواه البيهقي وغيره وفيه مقال.

قيل: لما خُلِقَ الدنيار سجد له إبليس، وقال: بك آخذ، وبك أعطي، وبك أغوي. (انتهى).

* * *

# غِبّ الطمع

كانت امرأة لها دجاجة، وكل يوم تبيض بيضة، ولكن المرأة طمعت وقالت: أريد بيضتين كل يوم، فسألت: أي شيء أحسن للدجاجة في البيض؟ فقيل (العجين) فأخذت مقدار مُدٍّ من الدقيق (البر) وعجنته وقدمته للدجاجة، فجعلت الدجاجة تبتلع منه حتى امتلأت حوصلتها، ثم ركضت للماء وجعلت تشرب والعجين ينتفخ فيها حتى انشقت الحوصلة وماتت.

أيضًا: كان رجل صاحب عقارات، وكان له روضة زراعية، وأراد أن يحفر فيها بئرًا (قليبًا) فوجدوا أرضها جبلية صلبة، عجزوا عن حفرها، فاستدعى رجلاً عبدًا قوي الجسم وأعطاه طمعًا كثيرًا بالنسبة لمصالح ذاك الوقت، فقام هذا الرجل العبد يحفر بعزم ونشاط من أجل الطمع، وجعل يضرب بالمضاريب الثقيلة حتى خرق الجبل، ولكنه أضر بنفسه فتقطعت عروق قلبه وتفتقت أضلاعه، فندم على إضراره بنفسه، فجعل يلوم نفسه ويقول:

**وراك ما قلت يا كور يا كور     كِبْ الطمع لو كثره لك (امهنا)**

قوله: (كِبْ الطمع): أي: اترك الطمع الذي عاقبته خطيرة. (انتهى).

* * *

## فائدة في الجمعة

جميع ما ذكر من فضائل يوم الجمعة وليلة الجمعة فمحل فعله يوم الجمعة إلى قبل الصلاة وليلة الجمعة، وبعض سننها يجزىء تقديمه يوم الخميس مثل قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة، إلاَّ ساعة الإجابة فهي تطلب في جميع يوم الجمعة، وقبل الغروب، آكد في مذهب الحنابلة. (انتهى).

* * *

# شايع الحافي ورجولة ابنه

قيل: كان شايع الحافي من رجال القبائل الشمالية في نجد، وكان يمارس أعمال الصعلكة، وهي (الحنشلة) وهو: نهب الإبل من سائر القبائل.

وكان زعيم بني خالد، ابن عريعر ذاك الوقت: هو الحاكم في بلدان جنوبي نجد، فكثرت الشكاوى إلى ابن عريعر ضد الحافي، فتحلف به، وأقسم يمينه أنه إن وقع شايع الحافي في يده أن يسجنه حتى يموت في السجن. فقدر الله سبحانه أن قبض على الحافي ووقع في يد ابن عريعر، فأدخله السجن في خيمة، إذ كان ابن عريعر يسكن في البادية، وحين كان الحافي في السجن ضاق صدره فأخذ آلة الغنى وهي الربابة وجعل يغني يريد يفرج الضيقة عن صدره.

وكان علمه بزوجته أنها حاملاً ولا يعلم ما ولدت بعده، فإن كان ابنًا فسوف يخلصه من هذا السجن، وإن كانت بنتًا فهذا السجن هو قبره. فلما تم نحو خمسة عشر سنة ألقى الربابة وسكت، لأنه داخله اليأس حين بلغ هذه المدة، إذ لو كان له ابنٌ لظهر له فعل، ولكن قد تكون ولدت بنتًا فلا نجدة فيها، وأهل السجن ظنوه بدأ به المرض والموت طوال هذه المدة.

والواقع أن زوجته قد ولدت ابنًا، وحين بلغ مبلغ الرشد نحو خمسة عشر سنة وعرف العلم، تذكر أباه، فسأل أمه أما لِي أَب؟ قالت: بلى، قال: أين هو؟ قالت: هو في سجن ابن عريعر، وسوف يبقى فيه حتى يموت حيث قرر ذلك ابن اعريعر.

فثارت حمية الابن لأبيه، واشتعلت نار الحماسة في غريزته، فأخبر قومه أنه يريد يسعى في خلاص أبيه، ففرحوا، فأمرهم أن يرتحلوا من البلدان التي يصل إليها نفوذ ابن عريعر ويدخلوا في الحدود الشمالية التي لا نفوذ له فيها، فارتحلوا وسكنوا هناك، فركب ابنه راحلته وقدم على عرب ابن عريعر، فأناخ ناقته قبل وصوله قريب منهم وأخفاها وعقلها في أرض منخفضة، ثم مشي على رجليه إلى مخيم الحاكم بن عريعر، ودخل مع الناس، ووصل إلى محل القهوة والخدم، وجلس معهم، ولا يستنكر ذلك لكثرة الناس من داخل وخارج، فجعل يسبرهم، ويفكر في أحوالهم، وكيف الحصول على إخراج أبيه وتخليصه.

وفي أثناء جلوسه هنا: رأى ابن الأمير صبيًّا مع الخدم يتبادلون حمله واللعب معه، وقد وكل به جارية من الخدم هو في كفالتها، ولها خيمة خاصة وإياه، فلما كان في وقت الليل وقت العشاء، أخذت الجاريةُ الصبيَّ وأنامته في الخيمة وخرجت وتركته نائمًا، فتسلل إليه ابن الحافي وانتهزها فرصة، واحتمل الصبي وهو نائم ولم يشعر به أحد تحت ظلام الليل إلى ناقته، فركبها وهرب به حتى وصل أهله.

وأما الجارية فهي: أتت إلى الخيمة لترقد مع الصبي فلم تجده في مكانه، فصاحت وفزعوا في البحث عنه، ولم يميزوا الأثر بسبب

كثرة الحركة حول الحاكم، ولكن شايع الحافي في السجن، لما علم بأن ولد الأمير مفقود أخذ الربابة وجعل يغني، فاستغربوا حاله بينما هم ينتظرون موته، فأتوا إليه وسألوه عن سبب قيام حركته، فقال: إن ابنكم المنهوب إنما أخذه ابني، فأخبروا الأمير بقوله،

فقال: أحضروه عندني؟ فأحضروه، فقال له الأمير: وما يدريك؟ قال: إن مثل هذا الأمر هو الذي أنا أنتظره منذ خمسة عشرة سنة، والآن حصل ما أرجوه، فقال الأمير: إننا الآن سوف نرضيك ونرضي ابنك ولكن أين نجده؟ فأخبره بأوطانهم.

فابن عريعر أكرم شايع، وجعله يجلس معه ويأكل معه وأنزله منزل الكرامة، وأرسل مركوبة إلى ولد شايع، هل يجدون الصبي عند ولد شايع، كما يزعم شايع أم لا؟ فذهب رجال ابن عريعر، يتطلبون قوم شايع حتى وجدوهم، ووجدوا ولد شايع، ووجدوا الصبي عنده في كرامة، فقالوا لولد شايع: أنت الأمير الآن، فاطلب من ابن اعريعر فكاك ابنه، واعلم أن أباك الآن عند ابن عريعر في كرامة، ولكن ولد شايع تظاهر لهم بعدم الشفقة على أبيه، وقال: (أبوي شايب ما لنا فيه حاجة، خلوا ابن عريعر يكمل عليه، وحنا يكفينا ولد ابن اعريعر عن أبينا) فقالوا: اترك هذا العلم واطلب كل الذي يرضيك؟ فما زالوا يسترضونه حتى طلب (مائة ناقة وثلاثين فرس وثلاثين سيف وثلاثين رمح وعشرة خدامين مماليك للخدمة ويشترط أن الخيل تمشي على زل ولا تأطأ الأرض من بلاد الإحساء، حتى هنا في الجزيرة، قال: وأبوي على كرامته أمامهم حتى يقدم علينا.

فركب رجال ابن عريعر من عنده، على هذا العلم والطلب والاشتراط، وقدموا على ابن عريعر، فبشروه بوجود ابنه، وأخبروه بطلب ولد شايع، فقال: اعطوه الذي هو طلب وأحضروا ولدي، وأخبَروا شايع بذلك، وقالوا: نحمل أحمالاً من الفرش الزل، ورجالٌ يفرشون الزل أمام الخيل، وبعضهم يطوي من خلفها ويقدمها أمامها، فقال شايع: أنا أساعدكم بإعفائكم عن هذا التعب والمشقة، ولكن احضروا لي الصانع الحداد، وأمره أن يقطع من الزل قِطعًا على قدر حوافر الخيل، فيفك حذوة الفرس ويجعل قطعة الزل بين الحافر والحذوة ويسمر الحذوة عليها، لأجل تمشي الخيل على الزل في حوافرها، ويتم أمر ابنه بذلك، ففعلوا، وساروا بطلبات ولد شايع، وشايع أمامهم على ناقة ذلول هو أميرهم، حتى وصلوا ابنه، فاستلم أباه مكرمًا معززًا، واستلم طلباته كاملة، فسلمهم ابنهم ورجعوا. (انتهى).

* * *

## أبـو تيـس..

قيل: كان رجل قد أوصى ابنه عند موته، أن لا يفعل ثلاث مسائل:

**الأولى**: أن لا يناسب (الهيس) وهو الرجل العفن البخيل.

**الثانية**: أن لا يعطي سده (سره) النساء.

**الثالثة**: أن لا يصاقب الشيوخ، أي لا يتداخل مع الأمراء.

فلما مات الرجل أراد ابنه أن يعرف السر في هذه المسائل التي خافها عليه أبوه، وقال: لا بد أن أجرّبها. وكانت عنده أمه وأخواته فزوج إحدى أخواته رجلاً هَيْسًا غنيًا، وزوج الثانية رجلاً كريمًا فقيرًا، ثم ذهب وصار خَوِيًّا للشيوخ، واستمر على ذلك مدة، ثم قام بتنفيذ اكتشافه هذه الأمور.

وكانت للشيوخ نعامة تدوج حول محلهم لا يتعرض لها أحد، ولكن الرجل أخذ النعامة بخفية، وأخفاها في محل وأكرمها، ثم أخذ قطعة لحمة مشوية ودسّها على أمه، وقال تفضلّي يا والدتي، كلي هذه اللحمة ولا تخبري بها أحدًا، فاشتغل خاطر أمه لتعلم مِنْ أين، فسألته من أين هذه اللحمة، فقال: هذه نعامة الشيوخ أخذتها وذبحتها وهذه

حَقّـك منهـا، ولكـن لا تخبـري أحـدًا، فيظهـر الخبـر علـى الشيـوخ فيقتلونني، فبكت أمه وقالت: بسم الله عليك يا وليدي ليتك ما تعرضتها أخاف يذبحونك، فقال: إنه لم يعلم بها أحد إلاَّ أنتي، وأنتي لا تخبري أحدًا، فتمعرت أن تخبر أحدًا خوفًا على ابنها، ولكنها غلبت عليها الطبيعة الغريزية للنساء، في عدم حفظ السر غالبًا، فأخذت قطعة من اللحمة ودسّتها على عجوز صديقة لها، وقالت: خذي هذه ولا تخبري بها أحدًا، فاشتغل خاطر العجوز حتى أخبرتها وقالت لا تخبري أحدًا، فيقتل وليدي، فقالت: كيف أخبر به؟ لا أخبر به أبدًا، ثم خرجت العجوز كذلك، وجعلت تخبر صواحبها وتقول لا تخبروا أحدًا، فانتشر الخبر سريعًا. فأرسل إليه الأمير وقال: بلغنا أنك أنت الذي ذبحت النعامة؟ فقال: نعم، فقال: ما الذي جرأك على ذلك؟ قال: حسب الميانة، يعني الصداقة.

ولكن الأمير لم يقتنع بذلك، وأراد تنكيله، فقال: لازم تحضر لنا ستين ناقة عين واحد، سن واحد وإلاَّ قتلناك بدل النعامة، فقال الرجل للأمير: أمهلني لعلي أُحصِّل طلبكم، قال: نعم، فخرج وركب ناقة ودهن جلدها بسمن، وهي غير جربا ولكن يريد يختبر بها رَبْعَهُ، فقصد نسيبه (هو صهره الهيس الغني)، فلما وصلهم وقرب من البيت لقيه الرجل زوج أخته وقال: عندك، عندك لا تقرب الجربا من محلنا تعطب في بعارينا، فأناخ الرجل ناقته بعيدًا عن البيت، وأتى هو وسلَّم عليهم وبات عندهم، وقال لزوج أخته إني قد بليت ببلوى عساك ما تبلى بها يابو فلان، المسألة كذا وكذا، وحَتَّمَ عليَّ الأمير بستين ناقة أو يقتلني،

واليوم ما هنا إلاّ الله ثم أنتم بالرفاقة لعلكم ما تِقِلُّون، فتحكك الرجل وقال: أبشر بالعونة هذا فحل الغنم التيس نعطيك إيّاه، قال الرجل: كثر الله خيرك يا بو فلان، أجَلْ خله عندكم وِدِّي آصل ذولاك الجماعة وارجع عليكم إن شاء الله.

ثم سار من عندهم إلى نسيبه الثاني السخيّ الفقير، فلما أقبل وعرفوه لقيه نسيبه زوج أخته وقال: اقرب، اقرب ادخل الناقة تحت البيت، عن البرد لأنها جربا، فقرب وأدخلوا ناقته عندهم تحت البيت وذروها عن البرد ثم قام الرجل وذبح ذبيحة أو أكثر ودعي الجيران فتعشُّوا وتفرَّقوا، فأخبر الرجل نسيبه بالمسألة، وطلب منه المساعدة، فقال: سهلة ما غير ستين ناقة؟ قال: نعم، فقال المعزب لزوجته، أخت الضيف: قومي واستفزعي النساء صواحبك واغزلي لنا ستين عقال (حبال) قبل النوم؟ فقامت المرأة وصواحبها وأبرمن ستين عقالاً قبل النوم، فلما أصبح الرجل المعزب أخذ العقل (الحبال) وطلع فوق محل مرتفع، وجعل يصيح ويشيح بثوبه ففزع الناس إليه ثبت، ثبت، وهي كلمة تقال عند الفزع، فلما وصلوه قال: عوافي، عوافي، هذا خال العيال مبلى في بلوى لا ابْلِيْتُوا بها، مطلوب عليه ستين ناقة، فأسرعوا يأخذون الحبال الْعِقِل التي معه، وكل واحد أخذ عقالاً: آخرهم رجلان في عقال واحد فقطعوه نصفين وذهبوا وكل رجل أتى بناقة وعقلها عند بيته، فاجتمع عنده واحد وستون ناقة، فقال لصهره خذها وأوف ما عليك؟ وإذا ما تكفي فارجع إلينا وسوف ينقضي لازمك إن شاء الله.

فركب الرجل ناقته وسار بالإبل ومَرَّ على نسيبه (الهيس أبو تيس)

فقال: يالله يا فلان عطنا الذي عندك من المساعدة! فأعطاه التيس فمشى الرجل بالإبل والتيس يمشي خلفها، فعجز التيس عن المشي فحمله على الناقة، فلما وصل أهله أخرج النعامة وساقها مع الإبل والتيس: ودخل على الأمير وقال هذه النعامة والإبل والتيس: فقال له الأمير: إذا كانت النعامة موجودة لماذا صنعت هذا الصنيع؟ فقال: إن أبـي قد حذّرني ونهاني عن هذه الثلاث المسائل، وأردتُ أن أعرف السر فيها، فقال الأمير: ونحن نساعدكم على ذلك، فأمر الأميرُ أن يُحمل على الإبل أحمال طعام وترجع على أهلها، فَحُمِّلت فقال الرجل: والتيس ماذا يحمل عليه إذًا؟ فقال الأمير: احملوا عليه (شَيْلَه) غدفة (خمار امرأة) تلف على قرونه.

فرجع الرجل بالإبل محملة إلى أهلها، فلما وصل نسيبه أبو تيس قال له: خذ تيسك يا فلان فقد سمح الأمير عنا، وأعطاك شيلة، فقال وراه هذا حقنا من العطية؟ فقال الرجل: إن تيسك لا يقدر أن يحمل أكثر منها؟ فقال: ليتنا أعطيناك ناقة تحمِّلها لنا طعام مثل الجماعة. (انتهى).

* * *

## قولهم.. ما هو هَرْج بالخِشّه

الخشه هنا: هي الفم، ويسمى (الزقم) فبعض الناس إذا أراد أن يتكلم ويشير إلى شيء جمع خِشَّتَه (فمه) ورفعه، يقول: ارفع من هنا واخفض هنا مثلاً، وكان الفلاحون أكثرهم يحتاجون إلى الدَّين من التجّار لأن الثمار قد تصيبها آفة (إما نهب وقت الحروب أو جراد أو برد أو أمراض)، وكان التاجر يلاحظ على الفلاح خشية أن تقل الثمرة، فأتى التاجر إلى فلاحه المدين، فلم تعجبه جهود الفلاح في كثرة الزرع، فجعل يحظه على الزيادة وكثرة الزرع فوقف في وسط الأرض وجعل يشير بخشته (فمه) ويقول: ازرع هنا وازرع هنا، فقال الفلاح (إيْه يا عم لو إنه هرج بالخشه) يعني أن الزرع صعب ويحتاج إلى جهود ومادة، وحيث كانت المادة دينًا من التاجر فهي لا تفي بالمقصود، وفي المثل: الحار عند التجار، وليس الزرع كلام بالفم: إذ أنَّ معنى الهرج بالخشه هنا هوالكلام بالفم مع الإشارة به، يضرب مثلاً جوابًا لمن يحظك على أمر هو أصعب مما يظن. (انتهى).

❊ ❊ ❊

# قسمٌ منسجم

قيل: اتفق الأسد والذئب والثعلب: على الخوة والاشتراك في طلب الصيد، فذهبوا، يصيدون، وكان الأسد هو ملك الوحوش كل الوحوش تخافه ويحكم عليها، وفي حالة الاصطياد، فقد صاد الأسد حاشى ولد ناقة أكبر من الحوار، وحين قتله وقد علم الجميع أنهم شراكة فيما يصيدون، فقال الأسد للذئب: اقسم الصيدة، فقام الذئب: وقسمها، فجعل للأسد أكثره، وجعل سهمًا قليلاً للذئب، وسهمًا أقل منه للحصني (الثعلب) ثم قال: قد قسمتها أيها الأمير، فقام الأمير ونظر القسم، فقال: كيف قسمتك هذه؟ فقال الذئب: هذا السهم الكثير للأمير، وهذا للذئب، وهذا للثعلب، فغضب الأسد وقال: أهكذا تقسم، ثم رفع يده وضرب الذئب وإذا رأسه نثر ومات الذئب، وجلس الأسد غضبانًا، فلما هدأ غضبه شيئًا، قال للثعلب: اقسم الصيد؟ فقام الثعلب وقسمه: فجعل سهمًا، وسهمًا ثانيًا أقل منه، وسهمًا ثالثًا أقل منه، ثم قال: قد قسمت أيها الأمير، فقام الأسد ونظر القسمة، وقال: كيف هذه القسمة؟ فقال: الثعلب: أما هذا السهم الكثير عشاء للأمير، والسهم الثاني غداء للأمير، والسهم الثالث فطور للأمير، قال: وأنت أين سهمك؟ فقال: أنا يكفيني أن ألحس يعني (ألعق) الدم من الأرض،

فضحك الأسد وقال: هذا قسم منسمح، فَصَدَّ الثعلب في وجهه عن الأسد وخفت على نفسه قائلاً (خائفًا من هالمنسدح)، يعني: إني أخاف يجيني ما أصاب صاحبي الذئب المنسدح الميت، ويضرب به المثل في سهولة الأمر: (قسم منسمح). (انتهى).

❋ ❋ ❋

# الزوجة الودود الأمينة

قد أدركنا أحوال الناس: كان الرجل إذا سافر تبقى زوجته عند أمه في بيته تحت أمرها تخدمها وتتواضع لها، مراعاةً لزوجها في بِرِّ أُمه، (أو أمه وأبيه) حال غياب زوجها مهما طالت غيبة الرجل، أرغب على الزوجة من أن تذهب تقعد عند أهلها. والأم تقوم لها بإعاشتها وشؤونها وصيانتها، أهم عليها من نفسها وابنتها، وتخصّها بكل شيء جميل لمكانة ابنها عندها تحامي على زوجته وتغليها من أجله، تقديرًا له. وابنتهم: عند أهل زوجها كذلك تخدمهم وتعمل معهم حسب ظروفهم، ويكرمونها حاضرًا زوجها أو غائبًا.

فهذه أحوال معروفة مألوفة لسائر الناس، لا يمتري فيها أحد إلاَّ في هذا الزمان.

من ذلك: كانت عائلة في إحدى القرى، ذات حسب وشرف، زوجوا ثلاثًا من بناتهم لرجالٍ متوسطين الحال، فسافروا لبعض بلاد الأمصار لطلب المعيشة، وبقيت زوجته عند أمه في بيته كالعادة، وأوصى كل واحد مَنْ ينفق على أهله حسب طلب الأم أو الأب (إن كان) حتى يرجع.

ولكن قالت إحدى الزوجات لأخواتها: لماذا نجلس ونحن شابات معافينا الله، فيُسَجّل على أزواجنا دَيْنًا على ظهورهم؟ خلونا نعمل مع الناس ونعتاش، فاستأذنت كل واحدة خالتها (أم زوجها) في ذلك؟ فَأَذِنَّ لهن وتساعدن معهن أيضًا، فقمن يعملن مع نساء الجيران الفلاحين حولهم، فعاشن بخير ورغد، فلما جاء أزواجهن بعد سنتين أو ثلاث أو أكثر وإذا لم يسجل عليهم شيئًا، بل قد وَفّرن لهم زيادة، وقلن لهم: لا تسافروا، اقعدوا عندنا واعملوا هنا حولنا أحسن لنا ولكم من تغربكم، فتركوا السفر وعاشوا معهن بخير والحمد لله.

فهذه الفضائل: التي هي أصول مكارم الأخلاق في العوائل، ينشؤون عليها صاغرًا عن كابر، قد نسخت اليوم، وتكاد تعدم.

كذلك: كان رجل وزوجته هنا: هو فلاح بسيط الحال، فكثر عليه الدَّين، وأتى غريمُه (ديّانه) وأخذ جميع ما بين يديه بالمزرعة من بعير وحمار وبقرة وقمح وغيره، (مخالصة) ولم يترك له إلاَّ تبن الزرع، فأصبحا في ضيق من الحال، فاستشار زوجته (ماذا نعمل من الأسباب؟) قالت: أنت صاحب الرأي، فقال: لم أجد هنا أسبابًا للمعيشة تجدي، ولكن أريد أذهب أتطلب العمل في قُرَى هناك، وأنتِ إذهبي حول أهلك لعلك تسلمين من هلاك الجوع، قالت: لا بأس هذا الرأي أقصى جهد.

فذهب هو وبقيت هي في المحل، وإذا عندها جلد شاة مدبوغ، فأعطته الخراز يعمله لها غربًا صغيرًا تزعب به لها ماءً من البئر، ثم انبعثت لها همة، بأن تزرع خضّارًا من بطيخ وقرعٍ دُبًّا وغيره، تزعب

الماء من البئر على متنها تسقيه، فنبت الخضار جيّدًا، فزاد نشاطها، فأخذت بقرة من إخوانها تسنيها تسقي البطيخ.

واستدعتهم يصلحون لها الزرع فأصلحوه، فجعل الله فيه بركة فأثمر جيدًا، فشبعت وتعطي إخوانها وجيرانها وتبيع، فباع لها إخوانها من محصول القرع الدُّبَّا بنحو ثمانين ريال، وأدخلت الباقي، وبعض تمر النخل، والبقرة ظهر بها حمل (لقاح) فولدت وتحلبها، فأصبحت في رغدٍ من العيش.

أما الرجل: فإنه عمل هناك أربعة أشهر، أجرة الشهر ثلاثة ريالات، فتحصل معه إثنا عشر ريال، فأتى من هناك يمشي على رجليه، قد أنهكه الهزل وتصدعت قدماه من الحِفْ وقلة النعل، فوصل محله بعد المغرب لكنه على آخر رمق، فقعد عند الباب يترادّ نَفَسُه، وناداها فعرفت صوته ففتحت الباب وبكت فرحًا به، وهو فرح أن وجدها في بيته ولم تهلك جوعًا، فمسكت يده ودخل، فأوقدت النار ودهنت صدوع رجليه بسمن البقرة وبشرته بالخير والغناة، فسجد لله شكرًا، وذهب عنهما السوء والحمد لله رب العالمين. (انتهى).

* * *

## من غايات الكسل

كان رجل كسلانًا مضطجعًا (مستلقيًا على ظهره، تحت نخلة فيها تمر، فاتحًا فمه رجاء أن يسقط منها تمرة فيه، فسقطت منها تمرة لكنها وقعت في الأرض حول فمه فقال لها: (يا حِلْوكِ لو أنكِ في فمي): يعني حتى لا يتكلف أخذها من الأرض وجَعْلها في فمه، فهذا فيه غاية الكسل.

وكان رجل له ثلاثة أولاد وكانوا كسلاء، وكان له حمار، فأوصى به للعاجز من أولاده، فلما مات اختصموا فيه كل واحد يقول أنا الأكسل العاجز أنا أريد آخذ الحمار، فذهبوا يختصمون لدى القاضي، فقال القاضي ليخبرنا كل واحد منكم بصفة كسله وعجزه؟ فقال أحدهم: وهو الأكبر (أنا إذا وضع عشاي هناك جاهزًا لا أستطيع أقوم آتي به).

وقال الآخر: وهو الأوسط أما أنا فإني اضطجع تحت القربة ويصيبني الظمأ فلا أستطيع أقوم أشرب منها، ولكني أجعل فمي تحت ناقط القربة (وهو المتسرّب منها) فيروي ظمأي ولولاه لمت ظمأ.

ثم إن القاضي سأل الثالث وهو الأصغر، حجته: فتعاجز عن الكلام وجعل يهمهم ويزارط بحلقه كأنه لا يستطيع يتكلم، فقال القاضي ليس وراء هذا عجز أعطوه الحمار. (انتهى).

* * *

## فصل:
## نصيحة عامة

قال الشيخ ابن مشرف الأحسائي (ديوان ابن مشرف):

انفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا ... ولا تطع في سبيل الجود عذالا
فالمنفقون لهم من ربهم خلف ... ورُبَّ شُحٍّ إلى الإتلاف قد آلا
من جاد ساد ومن شحت أنامله ... أضحت له الأعوان خُذّالا

وقال عنترة:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ... ولا ينال العلا من طبعه الغضب

ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، استشار صاحبه عبد الرحمن بن مهران، وكان من الرجال الصالحين، قائلاً: كيف لي بأحوال الناس ومعرفة الصادق من الكاذب؟ فقال صاحبه: لا تهتم لذلك إنما أنت سُوْقٌ وإنما يجلب في السوق النافق فيه، فإذا علموا أنك لا تقبل إلاَّ الصدق لم يعاملوك إلاَّ به.

قيل: كادت أن تذهب اللغة العربية الفصحا في إحدى الأزمنة الماضية، فأمر الخليفة بتعلمها وأعطى عليها جوائز، فتسابق الناس لتعلمها حتى اشتهرت بينهم. (انتهى).

* * *

## من بعض صفات البهائم

فالجمل ليس له مرارة في كبده وذلك حكمة لله لأجل لا يغضب، والفرس ليس له سَحَرٌ (طحال) حتى لا يفحم حالة الركض والطراد في الحرب وغيره، فتجده طوال الوقت في الحرب والضرب والكر والفر ما يتعب إنما يحتاج لشرب الماء وقت الحر، وغير ذلك كثير.

وأما ما يضرب به الأمثلة، فمن ذلك قولهم: اذهن من الغراب، وأحسد من العقاب، وآثر من الديك، وأحقد من الجمل، وأبلد من الحمار، وأحمق من الدب، وأحذر من الذئب، وأروغ من الثعلب، وأجمع من نملة، وأحرص من نملة وأبخل من نملة، وأفقر من القطة، وأذهن من العصفور، وأدل من القطاة، وأعق من الضب، وآكل من الجراد، والظبـي (الغزال) يكذب عينه ويصدّق أنفه. (انتهى).

* * *

# ظهور ابن عبد الوهاب..
# وآثار صدق السريرة مع اللّه

لما ظهر محمد بن عبد الوهاب، بدعوته إلى التوحيد وتجريد متابعة الرسول ﷺ، ساعده على ذلك الإمام محمد بن سعود الأول وأولاده رحمهم الله، وشاع صيتهم، عند الناس من موافق ومخالف، قال: حميدان الشويعر في ذلك شعرًا يُشبههما بجملين:

يُـذْكَـرْ إجْمَلَيْـن يَـمْ العـارض زبـدهـا فـوق غـواربهـا
إنْ كـان بـاطنهـا مثـل ظـاهـرهـا يـا ويلـك يلـي تحـاربهـا
وإن كان باطنها يخالف ظاهرها فْكُـلٌ يَقْـرَأ عقـاربهـا

قوله (العارض) هذا اسم قديم لبلدان الرياض، مثل الدرعية وغيرها وذلك نسبة للجبل المعترض غربي الرياض من الشمال الزلفي إلى الجنوب نحو حصاة قحطان، وهو جبل طويق.

قوله: (جملين زبدها فوق غواربها) وذلك أن الجمل الفحل إذا كان وقت هيجان الإبل في أول وقت الشتاء، يهيج لطلب الضراب ويصير له هدران يظهر له زفرات وطبطبة، فيظهر من فمه زبد كثير وينتشر فوق رأسه ورقبته وفوق غاربه، وغارب البعير هو مقدم ظهره

أمام السنام، فوصول الزبد هنا يدل على قوة البعير وشدة شِرَّته، ومعنى كلام الشاعر حميدان: أن هذا الأمر وهو الدعوة إلى الدين، يحتاج إلى إخلاص وصدق نِيَّةٍ، وتحقيقٍ في مِتابعة الرسول ﷺ، فإن كان هؤلاء الرجلان سريرتهما على هذا الصدق، كما هو ظاهر أمرهما فلا أحَدَ يغلبهما ويا ويل من يحاربهما مصيره الدمار، وإن كانت السريرة مدخولة ومخالفة لما يظهرونه للناس فسوف يكون الانغلابُ عليهما وكلٌّ قد يغلبهما.

ولكن واقع الأمر والحمد لله صلاح نيتهما وسريرتهما، فصارت لهما العاقبة والتمكين في البلاد. (انتهى).

سُئل البخيل: مَنْ أشجع الناس؟ فزفر زفرة شديدة، ويقال لها: تنفس الصعدا ويسميها العامة، (التنهت)، ولكن بعد هذه الزفرة قال: أشجع الناس من سمع وقع الأَضراس على طعامه ولم تنفطر مرارته.

قيل: إنه اشتكى المدرس إلى التلاميذ، قائلاً: (يستعيرُ أحدٌ مني القلم ثم لا يرجعه إليَّ وأنا لا أحب أن أمنع العارية فماذا أصنع؟) فقال أحد التلاميذ: بسيطة أعطه القلم وابق غطائه معك، فإنه سوف يرجعه إليك. (انتهى).

* * *

# فصل

## لا يكفي القول بلا عمل

قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف/ ٧٢]، ولم يقل: (بما كنتم تقولون) فلا بد من العمل بما أمر الله به وترك ما نهى عنه.

وقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر/ ١٠]، فالله سبحانه رفيع الدرجات فوق العرش فوق السماوات، وجميع الخلق في قبضته، وترفع إليه أعمال العباد، والكلم الطيب الذي أعلاه قول: (لا إلـه إلاَّ الله) وسائر الذكر، هو أصل العبادة وَمُخُّها، ولكن لا يكفي بدون فعل عمل صالح، فهو لا يرفعه إلى الله إلاَّ فعل العمل الصالح (والعمل الصالح هو ما أمر الله به ورسوله ﷺ وترك ما نهى عنه)، وأضرب لذلك مثلاً: (سيارة جديدة تسير في الطريق، فانتهى عنها الوقود فوقفت في أثناء الطريق، فلا تسير ولا تصل المطلوب إلاَّ بتوفر الوقود لها، وإلاَّ كان وجودها كعدمها، وهذا هو معنى قولهم: (الإيمان هو: نطق باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان) والله سبحانه غني عن خلقه وعملهم، ولكن فائدة العمل ترجع للعامل، فانفع نفسك بطاعة الله سبحانه، قولهم (وعمل بالأركان) أي الجوارح. (انتهى).

قـيـل:

**ومـن العجـائـب والعجـائـب جَمَّةٌ قـرب الحبيـب ومـا إليـه وصـول**
**كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والمـاء فـوق ظهـورهـا محمـول**

والعيـس هـي: الإبـل المحملـة والمـركـوبـة، وفـي لفـظ: قـرب الدواء. (انتهى).

* * *

# الخـزام.. واللـجـام

قيل:

رِجْلِـي تَسِيـر وهَـوى بـالِـيْ يَقُـودَهْ       واللي على غير الهوى كود باخزام

فالخزام: هو الزمام أشد من الرسن، وذلك أنهم كانوا إذا استعصت عليهم الدابة: كالجمل والثور: خرقوا أنفه وربطوا فيه حبل ومسكوه به فينقاد معهم جبريًا، فهو أشد من الشكيمة.

ويقابله اللجام للفرس لمنعها عن الجري: فالرسن للفرس يسمى رشمة الفرس مثل الرسن للجمل، لكن يُجْعَل فيه صيخ حديد معترض يدخل في فم الفرس عرضًا، وحبل الرشمة الرسن (العنان) بيد الراكب فوق ظهره يصرفه فيه، فإذا أراده يمشي أرخى له العنان، وإذا أراده يجري يسرع رجفه برجله مع إرخاء العنان، وإذا أراده يهدىء أو يقف جذب حبل العنان قليلاً، فانقاد للوقوف جبريًا بسبب اللجام بفمه، حتى إنه إذا جذبه بسرعة، رفع الفرس رأسه ويديه وجسمه واقفًا على رجليه، انقيادًا للجام، ويجعلون الحبل العنان اثنان، واحد من يمين الرقبة وواحد عن يسارها ماسكهما بيده، فإذا أراده يلف يمين جذب الأيمن قليلاً، وإذا أراده يلف يسارًا جذب الأيسر قليلاً، فهو مثل الدركسون للسيارة، ومثل الفرملة (البريك) للسيارة. (انتهى).

وكان خيار الناس رجالاً ونساءً: يأمرون بالحزم وينهون عن العجز والكسل فيقولون: (العجز ابن البجز، ابن الحاجة، ابن قم سَلِّفْنا) والعجز هنا هو الكسل. ويقولون:

**مَنْ قابَلْ الظِّل والمشراق ما سَلى يموت ما حاشت يديه الغنيمة**

وذلك أن الكسلان العجاز المهين كثير الجلوس وقت الحر في الظل، ووقت البرد بالمشراق: وهو مُشَمَّسُ وقت الشتاء للدفء، أما الرجل النشيط الحازم العازم، فإنه يصبر على الصعوبات والحر والبرد والتعب في طلب المعايش والمعالي، فيغني نفسه وأهله عن الناس ويحسن إلى غيره، نسأل الله الكريم من فضله.

ويقال: (حال دون الشراب سراب).

ويقال: (حال دون القريض جريض) وذلك أن ملكًا أراد أن يقتل شاعرًا، فقال له أعطنا من قريضك، يعني قبل أن نقتلك: فقال الشاعر: (حال دون القريض جريض) يعني السيف (القتل).

ويقال: (يضرب بالعالي والبطن خالي).

وكانوا يحذرون عن المنزل في مجاري الأودية حتى ولو في غير وقت المطر، فيقولون:

**وادٍ جَرى مِنْ الْحَيا لا بُدّ ما يَجْري إيْلا ما جَرى عام جَرى العام الآخر**

والحيا هنا هو السيل والسحاب.

يقال: (كريمٌ مِنْ مالِ غيره ضراط عفن)، وهذا صحيح.. (انتهى).

* * *

## نـصـفـه شــوي..

قيل: حدّث رجل بكلام، فاستبعدوا وقوعه، حيث قال: إن الفلان حصل عندهم مناسبة وليمة عرس (فذبحوا عشرين ناقة وخمسين شاة) فقال الحاضرون: ومن يقدر على طبخ عشرين بعير وخمسين شاة؟ فقال الرجل المحدث: (نصفه شَوِي).

فصار يضرب به المثل: للكلام المشكوك في وقوعه، (نصفه شوي).

ويضرب المثل في استبطاء الشيء بقولهم: (مات الحبيب ماجا الطبيب) كما يقال: (راح المداوي والذي ينقل الدوى). (انتهى).

* * *

# بــوبـــح..

سار رجل من رجال البادية في طريقه في البر، فلما أمساه الليل تطلع للعرب حوله ليبيت ضيفًا عندهم؟ فوجدهم، فقصد أحد البيوت حيث رأى مَعْطَن الغنم واسعًا فيدل على أنهم أغنياء حتى لا يكترثوا بضيافته، فأناخ بعيره أمام البيت، وأنزل عفشه وجمعه واتكأ عليه ينتظر قيامهم بضيافته، جاء الرجل صاحب البيت وقت المغرب، هاضلاً بالغنم من المفلى (البر)، وإذا هو رجل مغفل، فلم يلتفت للضيف، وجعل يساعد المرأة على حلب الغنم وترضيع البهم، فلما فرغ أتى وجلس عند الضيف واضطجع على جنبه وقال: هو ما عندك من السوالف الزينه لَوْن (يعني شيء) يا رجل؟ فقال الضيف: وكان شاعرًا:

مانِي على زَين الحكايا بخيل ... هَرْجٌ على غير النّشاما غَثابال
شَفّي مع اللي هرجهم يستويلي ... اللّي إيلا شَدَّوْا بَعِيدين مِنْزال
يا حلوهم إيلا هَزَّعَوا للنِّزيل ... لازم إيسّوا قبل بينون فنجال
وامعزبي عندي إسواة الفصيل ... يا عَنْك إنه ثور ما هوب رجال

هذا والمعزب المغفل: يجيبه في آخر شطر كل بيت على الرَّوِيْ (إيْلِي ــ آل)، ولم يحس بما قال الضيف فيه من الهجو، ولكن المرأة سمعت كلام الضيف فعرفته، فأتت مسرعة إلى الرجل زوجها وضربته

برجلها وقالت قم ــ قم هذا الشاعر فلان: ولكن إذبح لنا تيس للعشا وخذ قَهْوَةٍ واذهب به قَهْوِهِ في إدلال الجماعة، استرنا من باقي كلامه، فقام الرجل ونفذ ما قالت.

**المعاني**: قوله: (لازم إيسوّا قبل يبنون فنجال): كان الناس من بادية وحاضرة: إذا ارتحلوا من منزل ووصلوا المنزل الثاني: فأول شيء يبدأ به الرجل هو: أنه يعمل له قهوة يشربها ويستريح ويكيف عليها: وأهله يشتغلون بإنزال العفش وبناء البيت (الشعر أو الخيمة)، وتسويت العفش.

قوله: لازم إيسوا: أي يعمل، فنجال: هو كناية لعموم القهوة: كما قال الشاعر الآخر:

**ما حَلى الفنجال مِنْ قبل يبنون ... ما دام كل لاهِي ما يجيله**

أي في أول النزول ما داموا يشتغلون بنصب البيوت أو الخيام، كان والدي رحمه الله، يبدأ بعمل قهوته إذا أَنْزَلْنا ونحن نشتغل بالعفش، ويتمثل بهذا البيت (ما حلى الفنجال من قبل يبنون)، والفصيل: هو ولد البقرة أو الناقة حين يولد حين ينفصل من أمه، يعني أنه ساقط في الأرض، والمعزب هكذا هنا. (انتهى).

* * *

## فائدة في شهادة الصبيان

تُقْبَل شهادة الصبيان ويعمل بها لأول وهلة، قبل ينفرد بهم غيرهم أو يخلو بعضهم ببعض (قرره شيخنا) رحمه الله. (انتهى).

وقيل في الحلم إذا جهل عليك جاهل:

وإذا بُلِيتَ ببادِرَةٍ يومًا إلى رجل فكن كأنك لم تسمع ولم يقل

كما يقال: (إذا كان الهارج مجنون فليكن المستمع عاقل).

**مجانًا:**

يضرب المثل (بعبد بن غنام) لما سقط في البئر قال العم: تراك عتيق ـ وذلك أن الخادم سئم من مواصلة العمل في الزراعة صيفًا وشتاءًا، فسأل سيده قائلاً: إذا خلص (انتهى) زرع الشتاء، ماذا نصنع يا عم؟ فقال: نزرع صيفًا، قال: وإذا خلص زرع الصيف ماذا نصنع؟ فقال: نزرع شتاء، فقال العبد: إذًا (جَالُ الرَّكِية ولا جال ابن غنام)، والركية هي البئر: فأسقط نفسه في البئر، فقال سيده ابن غنام: تراك عتيق تراك عتيق، ولكن بعدما سقط العبد في البئر أعتقه. يضرب مثلاً للتبرع أو السماح عن الشيء بعد فواته. (انتهى).

* * *

# السيارات القديمة

لما ركب عبد الله بن عيسى على الموتر (الشيارة) وكانت السيارات القديمة ثقيلة، ولها دبلات، وبعض الطرق رملية، (والشُّفَيْر هنا هو السائق) فيعطيه الدبلات، فَكُلَّمَا غَيَّرَ له تغيّر صوته: فتسمع له جَظِيظ، وحنين وارعدان، شيءٌ يُهَوِّل. فأعجبه، وجعل يصفه بالشعر، وبدأ بالغزل بمعشوقته عادة الشعرا القدامى، ليتسنى له الكلام، فقال:

| | |
|---|---|
| يا صَخِيفَ الروح حالى تَرحمينَهْ | يوم جيتك من بلاد الشام عانى |
| من بلاد الشام جينا بالمكينة | فوق هِدْس ما تَخَثَّعْ بالطمان |
| والشُّفَيْر من المدارس ناعتينه | أَرْمَلِيٍّ يَقْذَعُه قَذْعَ الإحصان |
| إيلا احْتَدىٰ مثل الجمل تَسْمَعْ رَطِيْنَة | مع إجبال النَّبْك مثل الثعلبان |
| قِذْلَة الطربوش تلفح من يمينه | إيلا ضواه الليل شَبْ الكهْرَبان |

قوله: (مثل الجمل تسمع رَطِينة) وذلك أن الجمل الفحل إذا كان وقت هيجان الإبل: يكون له هَدَرانٌ، وزفرات واضطراب، وشِرَّةٌ يخيف من حوله، وهكذا وصفه الموتر في الطرق الرملية والجبلية. والمكينة هنا هو الموتر. والهدس، هو القديم. والنّبك، جبال في

طريق الشام. أرملي، نسبة لقبيلة (أَرْمَلْ) هناك. والمدارس هنا: وَرَش إصلاح السيارات هناك، إذ أن المدارس (المعارف) لم تكن توجد هنا ذاك الوقت. ولم يكن يوجد السائق هنا، فلا بد أن يأتوا بالسائق من الخارج. (انتهى).

* * *

# من أسباب البركات

إذا بسط العدل في الأرض ظهرت البركات، وانزاحت الشرور، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وقد ذُكِرَ أنه كان في عهد خلافة عمر بن عبد العزيز، كانت بنت ترعى غنمها في البر، وكان الذئب يأتي فلا يضير على غنمها ولا تستريب منه، ولكن ذات يوم أغار على غنمها وأكل منها شاة، فاسترابت مما حدث، فلما أتت أهلها قالت لهم: إن خليفتكم مات اليوم أو تغيرت نيته، وأخبرتهم بما حصل، فلما تجلى الأمر وإذا عمر قد مات ذاك اليوم رحمه الله.

وقيل: كان أمير يسير في طريق، ومرّ حول مزرعة (قصب سكر) فاشتهى شرابًا منه، فوقف وقال لخادمه اذهب إلى المرأة صاحبة الزرع (وكانت تعمل فيه بسقي الماء)، لتسقينا منه، فقالت: مرحبًا، فقطعت قصبة وصبت ماءها بالكأس فملأته، فذهب به للأمير وأخبره أنه من قصبة واحدة، فأعجب الأميرَ جودةُ هذا المحصول، وقال: إننا سوف نضاعف عليهم العشور، ثم قال لخادمه: اذهب إليها لتسقينا كأسًا أيضًا، فذهب إليها فقطعت قصبة فلم يمتلىء الكأس ثم قطعت ثانية فلم يمتلىء ثم قطعت ثالثة، وقالت: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون) قد فسدت نية

ولي الأمر، فظلم أو نوى يظلم، إننا نعرف ذلك بنزع البركة من الثمار، فرجع الخادم بالكأس للأمير وأخبره بالواقع وبقول المرأة، فقال الأمير: قد أبدلنا عن مضاعفة العشور، فاذهب إليها تسقينا كأسًا أيضًا، فذهب إليها وطلب منها سقيا، فقطعت قصبة فملئت الكأس. (انتهى).

❊ ❊ ❊

## التنسُّك الصحيح

قال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» على منزلة الخشوع: رأت عائشة رضي الله عنها شبابًا يتماوتون في مشيتهم، فقالت من هؤلاء؟ قالوا: نسّاك، فقالت: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا مشى أسرع، وإذا تكلم أسمع، وإذا أطعم أشبع، وإذا ضرب أوجع، وكان هو الناسكَ حقًا. (انتهى).

قيل:

زعمتني شيخًا ولست بشيخٍ إنما الشيخ من يدب دبيبا

وقال آخر: وقيل له إنك شبت يا فلان!

الردى إيلا شاب خاب وانا إيلا شبت طبت

تلقى جظيظ الركاب إخلافى إيلا مني ركبت

يعني أنه شجاع وذو رجولة وإن شيب. (انتهى).

* * *

## من توبة الحريري.. قال:

فـــالبـــس شِعـــار النـــدمـــى واسكـــب شـــآبيـــب الـــدمـــى
قبــــــل زوال القـــــــدم وقبـــل ســــوء المصـــرعـــى
ويحـــكِ يـــا نفـــس احـــرصـــي علـــى ارتيـــاد المخلَـــص
وطـــــاوعـــــي وأخلِصـــــي واستمعـــي النصـــح وَعِـــيْ
واعتبـــــري بمـــــن مضـــــا مـــــن القـــــرون وانقضـــى
واخشـــي مفـــاجـــآت القضـــا وحـــــاذري أن تخـــــدعـــي
وانتهجـــي سبـــل الهـــدى والـــدكـــرى وشـــك الـــردى
وأنَّ مثـــــواك غـــــدا فـــي قعـــر لحـــد بلتعـــي
آهَـــا لـــه بيـــت البِلـــى والمنـــزل القفـــر الخلـــى
ومـــورد السفـــر الأولـــى وألاحِـــقِ المُتَّبِعـــي
بيـــتٌ يُـــرى مـــن أودعـــه قـــد ضمـــه واستـــودعـــه
بعـــد الفضـــاء والسعـــه قِيـــدُ ثـــلاثِ أذرعـــى
لا فـــرق أن يحلـــه داهيـــة أو أبلـــه
أو معســـر أو مـــن لـــه ملـــك كملـــك تُبَّعِـــي
وبعـــده العـــرض الـــذي يحـــوي الحَيِـــيَّ والبَـــذِي
والمبتـــدى والمحتـــذى ومـــن رَعَـــى ومـــن رُعِـــى

فيـــا مغـــاز المتقـــى ونُجْـــحَ عبـــد قـــد وُقِـــى
ســـوء الحســـاب المـــوبقـــى وهـــول يـــوم المفـــزعـــي
ويـــا خســـار مـــن بغـــا ومـــن تعـــد أو طغـــى
وشـــب نيـــران الـــوغـــى لمطعـــم أو مطمعـــي
يـــا مـــن عليـــه المتكـــل قـــد زاد مـــا بـــي مـــن وجـــل
لمـــا قتـــرفـــت مـــن زلـــل فـــي عمـــري المضيعـــي
فـــاغفـــر لعبـــد مجتـــرم وارحـــم بكـــاه المنسجـــم
فـــأنـــت أولـــى مـــن رحـــم وخيـــر مـــدعُـــوٍّ دُعـــي

(انتهى).

* * *

# فصل
## رثاء المسلمين في الدرعية

(لتعرف بطولة أهل نجد وصبرهم في الشدائد).

لا يزال أهل الإسلام يحسدهم أعداؤهم، وينصبون لهم الحبائل يبغون لهم الغوائل، ومن دسائس أعدائهم: إيقاع الاختلاف وإثارة الفتن بينهم بالتحريش و التحريض، لأجل يسيرون تحت غبار الفتن لتنفيذ خططهم الهدامة في المسلمين والعرب.

كما حصل حين اتسعت رقة الإسلام في حكومة آل سعود في الدور الأول، فحاول بعض أعدائهم وهو تحت وِلايتهم: تحريش الدولة العثمانية ضدهم، حتى قامت الدولة بإرسال حملات قوية بقيادة إبراهيم باشا.

ومن دسائس الأعداء إيقاع التخاذل والتفرق بين عصائب المسلمين خاصة وبين العرب عامة، فاستطاع العدو أن يطوي نجدًا قرية قرية، ومدينة مدينة، حتى وصل إلى عاصمة نجد مدينة الدرعية. أما حكومة الإسلام، فهي لما رأت نفوذ دسائس الأعداء في رعيتها، جمعت قواها في حماية الدرعية رجاء أن تسلم، ودفاعًا بنفسها عن

حوزة الأمة وكيان المسلمين حسب مقدرتها، ولكن العدو واصل زحفه حتى حاصر الدرعية، فقام أهلها بالكفاح والقتال الشديد، يلتقون بالعدو كل يوم، حتى إن الرصاص يتضارب في الجو من كثرته حالة القتال، ودام هذا الحصار والقتال الشديد نحو أربعة أشهر، هذا وأهل الدرعية ينقصون، قد انتهت أمدادهم، وكلّت عُدتهم وعَددهم، فَمَنْ قتل منهم لم يأتي له بدل، هذا والعدو يزيد عُدة وعَددًا.

ففي يوم من الأيام، يوم خميس، طلب أهل الدرعية من الباشا أن يهادنهم غَدًا الجمعة يستريحون ويصلون الجمعة؟ فأجابهم وواعدهم بوضع القتال غدًا.

ولكن وصل إليه في الليل من جملة الإمداد طابور عسكر، عدده ألف جندي والرئيس[1]، وحين وصل الطابور واستقر برئيسه المكان أمر بتعبئة الجيش والتأهب للقاء في الصباح، فقال الباشا: بُكْرًا ما فيه قتال، إننا هادنا أهل الدرعية بكرا، فغضب رئيس الطابور وقال: أنت يا إبراهيم باشا أتلفت الدولة ولك عدة شهور عجزت تفتح الدرعية، وتقول غدًا ما فيه قتال: فقال الباشا: إحنا قد عاهدناهم على الهدنة غدًا، وأنت ما حضرت العهد ومعك طابور: ألف جندي، شوف أهل الدرعية عندك، رح قاتلهم ما علينا منك فقال رئيس الطابور: نعم، أنا أقاتلهم، فعبأ جيشه الطابور، وفي الصباح سار إلى الدرعية في طَيَشٍ وكبرٍ وبغيٍ، فالمزامير والدفوف تضرب، والمدافع تجرها البغول.

(١) كما في المثل (ألف والعريف) للكثرة.

هذا وأهل الدرعية قد استأمنوهم فوضعوا السلاح، فبعضهم نائم، وبعضهم يصلّي، وبعضهم في بعض حوائجه، وبعضهم قد تقدم للصلاة الجمعة، فما راعهم إلاَّ والعدو قد وصلهم، فتنادوا عِبادَ الله ـ عِبادَ الله، فأخذوا السلاح ولقوا العدو، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، حتى ظهر لهب النار من البنادق فوق رؤوس الرجال، فما لبثوا نحو ساعة حتى قتلوا الطابور عن آخره لم يفلت منه إلاَّ الرئيس، هرب على بغلته، وأتى إلى الباشا فاتِخًا عقله لا يستطيع يتكلم، فقال له الباشا: وش فيك ـ وش فيك؟ فقال: قتل الطابور كله لم يبق منه أحد، فقال الباشا: شف يا بن الكلب، أنت تحسبنا جالسين هنا نشرب شاهي ونحوه، وإحنا نقاتل رجالاً زَيْ الجبال، ولكن إذا كان الطابور قتل كله فلا حاجة يبقى الرئيس، فأمر به وربط هناك ووجهوا عليه المدفع وضربوه به حتى ذهب قطعًا، فقال الباشا: (الطابور ورئيسه).

فهذا يدل على بطولة أهل الدرعية، وصبرهم في البأس، حتى بادت قواهم وهم على هذا العز والصبر والكفاح الشديد، غفر الله لهم ورحمهم وأسكنهم الفردوس في جواره.

وهذه الواقعة الموجعة، قد ذكر معظمها ابن بشر في كتابه (عنوان المجد في تأريخ نجد»، وحين استولى العدو على البلاد صارت كما قال الله تعالى عنهم، ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ [النمل/ ٣٤].

فهم خربوا البلاد، وأهلكوا العباد، وعاثوا في الأرض فسادًا، ولم ينج منهم إلاَّ من لاذ بالهرب، كالإمام تركي بن عبد الله، لجأ في

جبال غربًا من الرياض، ثم انضم إلى عرب أصدقاء له، وتزوج ابنة أميرهم، فولدت له ابنًا سماه جْلوِى، حتى يسّر الله للإمام تركي، أعوانًا وهجمات استرد فيها ملك آل سعود في الدور الثاني.

وهروب الإمام تركي: بعد سقوط دولة الإسلام وخراب البلاد، ليس هو عن خوف أو ضعف أو جبن، وإنما هو شجاعة ودهاء ورأي مسدد رشيد، حيث انحاز إلى ما يرجو فيه النصرة والنجاح، وهكذا وقع والحمد لله، كما قيل:

**على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم**

قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥].

فالحمد لله الذي جعلنا نحب أوليائه ونبغض أعدائه، في أي زمان ومكان.

وممن هرب بعد الواقعة الشيخ سليمان بن علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فإنه لجأ إلى بلدان الساحل، حتى رد الله للمسلمين دولتهم، وعاد الأمر إلى نِصابِهِ. فهذا الشيخ سليمان، هو الذي رثا أهل الدرعية بمرثية نحوًا من تسعين بيت رحمه الله، فَأُحِبُّ أن ألخّص منها ما يناسب المقام: قال رحمه الله تعالى:

**خَلِيلَيَّ عوجا عن طريق العواذل بمهجور ليلى فابكيا في المنازل**

لعل انحدار الدمع يعقب راحة ... مِنْ الوَجْد أو يشفي غليل البلابل
أرى عبرة غبراء تتبع أختها ... على إثر أخرى تستهل بوابل
تهيج ذكرًا للأمور التي جرت ... تشيب النواصي واللِّحى للأماثل
ويسقط من بطن الحوامل حملها ... وتذهل أخيار النساء المطافل
فبينا نسود الناس والأمر أمرنا ... وتنفذ أحكامٌ لنا في القبائل
وتخفق رايات الجهاد شهيرة ... بشرق وغرب يَمْنة وشمائل
تبدلت النعماء بؤسًا وأصبحت ... طغاة عتاة ملجأ للأراذل
وبث عتاة الدين في الأرض بغيهم ... وريعت قلوب المؤمنين الغوافل
وأقبل قادات الضلالة والردى ... وساداتها في عسكر وجحافل
فخانت لهم نجد لِما قد أتوابها[1] ... ولم يبق للإسلام غير قلائل
فقد خلعوا والله ربقة دينهم ... وبارَ أميرٌ مع وزير وعامل
فلم يفلحوا والحمد لله وحده ... ولم ينتهوا بل شرهم في تطاول
وَفُرِّقَ شمل الدين وانْبَتَّ أصله ... فأضحى مضاعًا كالبدور الأوافل
وَفَرَّ عَنِ الأوطان من كان قاطنًا ... تراهم فُرادى نَحْوَ قِطْرٍ وساحل

---

(١) أي أتوا نجد بدسائس التحريش والرشوة لرؤساء القبائل، حتى تخاذلوا وتفرقوا عن جماعة المسلمين، فلما قضت الدولة على حكومة المسلمين، رجعوا على رؤساء القبائل فقاتلوهم وأخذوا منهم أموالهم وما أعطوهم من الهدايا والرشوة، وهذا شأن العدو يعطيك ليتمكن منك لا لنفعك كما قيل:

إن الأفاعِيّ وإن لانت ملامسها ... عند التقلب في أنيابها العطب

كما ذكر أسلوب مبدىء هذه الحادثة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد في رسالته في الجهاد ضمن منسكه في الحج رحمه الله تعالى، أو في رسالته (الرسائل الحسان في نصائح الإخوان).

وَفُرِّقَ شَمْلٌ كان للخير شاملا وزالت وُلاةُ المسلمين الأعادل
وساد شرار الخلق في الأرض بعدهم ودارت رَحًا للأرذلين الأسافل
فأصبحت الأموال فيهم نهائبا وأضحت الأيتام خمص الحواصل
فكم دمروا مِنْ مسكن كان آنسًا وكم خربوا من مربع ومعاقل
وكم خربوا من مسجد ومدارس يقام بها ذكر الضحى والأصائل
وكم أهلكوا حرثًا ونسلاً ببغيهم وكم أيتموا طفلاً بغدر وباطل
وكم هتكوا سِتْرًا حييًّا مُمَنَّعًا وكم كشفوا حجب العذارى العقائل
وكم قطعوا من باسقات نواعم وكم أغفلوا من معقل ومنازل
وكم هدموا سورًا وقصرًا مشيدًا وحصنًا حصينًا أوهنوا بالمعاول
وكم أسروا من حاكم بعد عالم وكم زلزلوا من محصنات غوافل
وكم قتلوا من عصبة الحق فتية تقاة هداة في الدجى كالمشاعل
يذودون عن ورد الدنايا نفوسهم ويسعون جهدًا في اقتناء الفضائل
فما بعدهم والله في العيش رغبة وما بعدهم للخير والدين فاعل
مضوا وانقضت أيامهم حين أورثوا ثناءً ومجدًا كالهداة الأوائل
فجازاهم الرب الكريم برحمة تعم عظامًا أودعت في الجنادل
وأبقى لهم ذكرًا ونصرًا مؤثلاً يَعزُّ وُلاةَ الدين بين الجحافل
لقد كسفت شمس المعارف بعدهم وسالت خدود بالدموع الهواطل
وكم عاتق غراء تبكي بشجوها وأرملة ثكلى وحبلى وحايل
ينحن بأكباد حرار وعبرة ويكظمن غيظًا في الجوانب داخل
يُرَجِّعْنَ ألحان التعزى بحرقة ويظهرن صبرًا عن شماة وعاذل
ولو شهدت عيناك يوم رحيلهم عن المسكن الأعلى الرفيع المنازل

وفـرقـت الأحبـاب فـي كـل قـريـة وسار بهم حزب العدو المزايل
يسـوقـونهـم سـوقًـا عنيفًـا بشـدة ويزجون أشياخًا بتلك القوافل
لذابت جفون العين واحترق الحشا وسالت جفون بالدموع السوائل
فيـا أيهـا الإخـوان صبـرًا فـإننـي أرى الصبر للمقدور خير الوسائل
ولا تيأسوا من كشف ذا الكرب والبلى فذو العرش فراج الأمور الجلائل
فقـم قـارعًـا للبـاب والقلـب نـادم على ما جرى وأقبل عليه وسائل
وأمـا بنـوا الـدنيـا فـلا تـرج نفعهـم فـلا مُـرْتَقًـا منهـم يُـرَجَّـى لنـازل
فـإنـي تتبعـت الأنـام فـلا أجـد سوى حاسد أو شامت أو معاذل
فـلا تـرجُ غيـر الله فـي كـل حـالـة وخَـلِّ جميـع الخلـق طُـرًّا وعـازل
سألتك يا ذا الجود والمَنِّ والعطا تجود وتعفو عن عبيدك يا ولي
وتـرسـل طـاعـونًـا ورجـزًا ونقمـةً وطعنًـــا لطعّـــانٍ وقتـــلاً لقـــاتـــل
وأزكى صلاة لا تناهَى على الذي لـه انشـق إيـوان لكسـرى ببـابـل
محمد والأصحاب ما هبت الصبا وآل رسـول الله زيـن المحـافـل

(انتهى). والحمدلله رب العالمين.

* * *

# فصل
## في دعاء الذاهبة

ورد في حديث: إذا فقدت شيئًا من متاعك فقل: «اللَّهمَّ رَبَّ الضالة، هادِ الضالة تهدي من الضلالة، رُدَّ عليَّ ضالتي هذا اليوم» رواه الطبراني بنحو ذلك، وتردد هذا الدعاء وسوف ترد عليك غالبًا، وقد جربناه نافعًا جدًّا بحول الله وقوته. (انتهى).

* * *

# الاغترار بالمفاخر الماضية

قال الشاعر:

إذا افتخـــرت بـــآبـــاءٍ لهـــم كـــرمٌ    نعم صدقت، ولكن بئس ما ولدا

فأكثر الناس يعتمد على شرف آبائه، أو قومه وقبيلته، إذا كان لهم شرف ماضي (أو قائم) ولكن ينسى نفسه، وينسى أنه لا شرف له ولا رفعة قدرٍ إلاَّ بفعله هو، فكم من شريف رفيع القدر، وابنه لا قيمة له عند الناس، وبالعكس، فالابن شريف رفيع القدر وأبوه لا قيمة له عند قومه، إلاَّ إذا كان الأب ذو شرف وقدر، ثم جاء الابن ذو شرف وقدر، فالابن زاد شرفه بشرف أبيه لأنه نال الشرف (الطارف والتليد).

(فالطارف هو الجديد ــ والتليد هو القديم (من كل شيء).

وقد جعل الله غريزة في نفوس عموم الخلق، طلب المعالي والشرف، لا سيما العرب، فإنهم يبيعون أرواحهم في سبيل الشرف، وهو معظم ما يتنافسون عليه.

هناك قبيلة من العرب القدامى، هم بنو تغلب، وشيخهم كان (عمرو بن كلثوم) شجاع شاعر، وكان ملك العرب ذاك الوقت هو عمرو بن هند، فتحدث هذا الملك مع جلسائه يومًا قائلاً: من أعز

العرب؟ فقالوا: عمرو بن كلثوم، فقال الملك: أريد أمه تخدم أمي، فقالوا: يأنف عمرو بن كلثوم أن تخدم أمه أمك، فغضب الملك وقال: أيأنف ابن كلثوم من خدمة أمه لأمي؟ قالوا: نعم، فقال: لا بد أن تخدم أمه أمي؟ فأرسل الملك إلى عمرو يستدعيه (زيارة) قال: وتأتي بأمك لزيارة أمي، فلما بلغ عمروًا استدعاء الملك إياه، وإذا هو لم يسبق ذلك ما يستريب منه ابن كلثوم، فالعلاقات بينهما طيبة، فأجاب دعوة الملك، وحمل أمه في كرامتها حتى قدم على الملك فاستقبلوه وأدخلوا أمه على أم الملك، وأدخلوه هو على الملك، فلما وصلت أمه أم الملك قالت لها: إنما استدعيناكِ لتخدمينا، ولكن قومي لعملكِ، فصرخت أن عمرو بن كلثوم بصوت عالٍ: (يا عمرواه)، فسمعها ابنها وهو عند الملك وعرف أن المسألة فيها مكيدة، فمشع السيف من جرابه وضرب به رأس الملك وإذا هو بالأرض يدوم، ثم مضى عمرو إلى أمه ومن لقيه ضربه بالسيف حتى خلص إلى أمه، وخرج بها ورجع إلى أهله، لم يمسه سوء.

ثم تمثل بقصيدته المعلقة المشهورة، التي قال فيها يتمدح بشجاعته وعبقريته:

إذا ما الْمَلِكُ سامَ النَّاسَ ظلْمًا ... أبينا أن نُقِرَّ الضَّيْمَ فينا
ألا لا يجهلَنَّ أحدٌ علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا
إذا رضينا جعلنا الأرض خصبا ... وإن غضبنا خُضنا البحر طينا
ونشرب إن وردنا الماء صَفْوًا ... ويشرب غيرنا كَدَرًا وطينا

إلى آخر كلامه.

ثم إن قومه أخذوا هذه القصيدة، وجعلوا يتناشدونها ويفخرون بها على غيرهم، ولكنها أنستهم أنفسهم وغفلوا عن فعل الشرف بأنفسهم واعتمدوا على فعل عمرو، فضاع شرفهم وضعفت قبيلتهم ومعنويتهم، فقال فيهم الشاعر الآخر:

ألهى بني تَغْلِبَ عن كل مَكْرَمة ... قصيدة قالها عمرُو بنُ كلثوم
يروونها أبدًا مُذْ كَانَ أولهم ... يا للرجال لفخر غير مسؤوم

وهكذا كل إنسان يعتمد على شرف غيره فإنه يضعف أمره ويتلاشا شرفه، سواء في أمر دنيا أو دين. وغيري أعلم مني بذلك، ولكن ينبغي لكل إنسان أن يستحضر قول الشاعر الآخر:

لسنا وإن أحسابنا كَرُمَتْ ... يومًا على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل فوق ما فعلوا

وهكذا ينبغي لنا أنْ نفعل والله الموفق.

وقصة عمرو بن كلثوم مذكورة في التعليق على المعلقات السبع أو العشر فليراجع، والمعلقات العشر هي السبع، زيد عليها ثلاث فصارت عشرًا. (انتهى).

* * *

# فوائد في الصلاة

جميع شرائع الإسلام شرعها الله سبحانه على محمد ﷺ وأمته بواسطة جبريل عليه السلام، إلاَّ الصلاة فإن الله أمر جبريل أن يَعْرُجَ بالنبي ﷺ إلى فوق السماوات[(١)] فكلّمه الله هناك، وشرع عليه وعلى أمته الصلاة (خمسين صلاة في اليوم والليلة) فلما نزل وأتى على موسى في السماء السادسة، قال له موسى: ارجع فاسأل ربك التخفيف، فرجع فوضع الله عنه عشرًا، ثم نزل، فقال له موسى مثل ذلك فما زال يرجع بين موسى وربه حتى جعلها الله خمسًا في أجر خمسين، (وهذا يدل على عظم شأنها، فهي عمود الدين، فمن تركها فقد كفر).

ولها شروط وأركان وواجبات وسنن، كما في كتاب (آداب المشي إلى الصلاة) للشيخ محمد، (فشروطها تسعة، وتقدم ذكرها)، وأركانها أربعة عشر، منها تكبيرة الإحرام، ومنها الطمأنينة في جميع الأركان.

وواجباتها ثمانية، منها تكبيرات الانتقال.

وَلُبُّ الصلاة وروحها هو: الخشوع وحضور القلب بين يدي الله تعالى.

---

(١) أحاديث المعراج ذكرها ابن كثير في أول تفسير سورة الإسراء.

وأما سننها فهي كثيرة: وهي سنن أفعال وأقوال، زينة للصلاة ومكملات لها، قاله شيخنا رحمه الله، فبعضها في نفس الصلاة: نحو أربعين: سُنَنُ أفعال، وسبعة عشر سُنَنُ أقوال، ولها سُنَنٌ قبلها، وسنن بعدها.

فالشروط لا تسقط سهوًا ولا عمدًا، إلَّا عند العجز عن شيء منها، بلا سجود سهو، والأركان لا يسقط شيء منها عمدًا، وسهوًا تبطل الركعة التي سقط منها وتقوم التي بعدها مقامها، مع سجود السهو.

وأما الواجبات: فلا تسقط عمدًا، وسهوًا يجبره السجود للسهو.

وأما السنن: فلا يبطل الصلاة، ترك شيء منها ولو عمدًا، ولكنها أزكى للصلاة في سننها وأجمل لها أمام الله سبحانه بحسن هيئتها.

ومن الواجب للصلاة: الصلاة في الجماعة في المسجد للرجل، من أجل حفظها وعظم شأنها، فلا يسقط عنه حضور الجماعة بدون عذر، لحديث ابن أم مكتوم الأعمى: «قال أتسمع النداء للصلاة» قال: نعم، قال: «أجب» الحديث.

مع أنه أعمى بعيد مسكنه عن المسجد، وليس له قائد يلائمه دائمًا، فلو كان يسقط الحضور في المسجد لسقط عن هذا الأعمى.

وأمر الله بالصلاة جماعة حالة الحرب ومصافة العدو. (انتهى).

* * *

# حسن المنطق سعادة

جاء في الحديث «إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكم» رواه البخاري وغيره فسحر البيان هو السحر الحلال، ولهذا قالوا: (حسن المنطق سعادة)، وقال الشاعر:

**تقـول ذا مجـاج النحـل تمـدحـه وإن تشـأ قلـت ذا قـيء الـزنـابيـر**
**في زخرف القول تحسين (لباطله) (والحق) قـد يعتـريـه سـوء تعبيـر**

فمن سعادة الإنسان أن يوفق لحسن الكلام وصواب القول، فيتكلم بحكمة ويسكت بحكمة. (انتهى).

* * *

# من عادات أهل القرى: يفرح بالأضياف

كانت للناس عادات قديمة وحتى الآن توجد، فكل أهل قرية لهم موضع معروف يجلسون فيه أوقات فراغهم للتحدث والسوالف وتبادل الأخبار فيما بينهم، ولكن هذه المجالس لا تخلو من الكلام بأعراض الناس والغيبة المحرمة، وأكثر من يتكلم بأعراض الناس ويتتبع عثراتهم، هم الأراذل وصغار النفوس والهمم، حتى ربما ثلبوا الإنسان الطيب وعابوه بأفعاله الطيبة.

كان في إحدى القرى، رجل له مكارم أخلاق، جاء يريد يجلس مع الجماعة في مجلس التحدث، فوجد رجلاً منهم جالسًا وحده دونهم، فجلس معه والجماعة لم يعلموا به، وفيهم أناس من الأراذل، فجعلوا يتكلمون بعرض هذا الرجل الطيب ويثلبونه على جزالة النفس، فيقولون: فلان يشتري من الحطب السمر، ويشتري من الغنم الطيبة ويذبح منها وأنه سوف يخسر، سوف يصبح وكذا وكذا،

فسمع الرجل كلامهم فيه، فعزفت نفسه عن مجلسهم، ورجع لبيته وثارت قريحته بقصيدة قال فيها:

**والله لا شُبَّ النار وأدنى المعاميل[1]　　　وَابَهِّـرْ الـدلـه وَاكَثِّـرْ بهـاره**

(١) المعاميل: هي الدلال وما يتبعها: الأواني التي يعملون بها القهوة لهم وللأضياف.

وأقوم طولى إلا لِفانِي رجاجيل والنفس سمحه ما نهاب الخساره
واذبح من الخرفان والا من الحيل واللي يلومن يحتفظ في صْرَارِه[1]
والعمــر قَفّــا مــا فيــه تعــديــل وكــلٌّ يْعَــوِّجْ يــا عشيــري لكــاره
ارذال قــومٍ همهــا القــول والقيــل مــا يَسْلَــمْ الــرجــال لــو هــو بــداره

وكان الناس يحبون الأخبار الجديدة، تحمض بها نفوسهم ترتاض بها وترتاح لها، قال:

وايلا لفيتوا ديرة أصحاب من قوم فاهرج تَرا حَمْضَ الرجال الْعَلامِ

والهرج هنا هو: الكلام وعلوم الأخبار، والحمض: أصله للإبل من المراعي: كالرمث والغضا، ولا تعيش الإبل إلاَّ على الحمض، وقد يعوضونها عنه ملح، ويمتاز لحم الإبل والغنم التي ترعى في مراعي الحمض على غيره، حتى صيد البر كذلك، ويسمونها مراتع مَرَأ: ارض مريئة: أرض مرأ: كما يسمون غيرها: أرض وخيمة أرض وخام. (انتهى).

* * *

(١) الصرار هي الفلوس: كانت من الفضة والجنيهات الذهب والقروش ويصرونها في كيس صغير في مخباته.

## خلاصة الإلف بين الزوجين

فإن قيل: فما خلاصة القول في نواة الإلف بين الزوجين إذًا؟)
يقال: كان الرجل إذا دخل على زوجته البنت في الزفاف، وإذا هي متستِّرةٌ متحشمةٌ باللون الأسود (العباءة والغدفة (الغطوة) فوق الثياب الملونة الجميلة)، تاقت نفسه للوصول إلى ما في هذا الاحتشام، فيبدأ ببسم الله وذكره وما يعرفه من الورد والدعاء، ويُظهر السهالة والمزح والثناء بما يشرح الصدر، ثم يبدأ بأخذ ظاهر ثيابها، مع استمرار المزح والتأنيس، وهي تمانعه وتجاذبه تمسك ثيابها وتحمي نفسها: عنوان الحياء، والعفاف، والصيانة، والأمانة.

**قال المهٰدي:**

**قُلْتُ اللَّهمَّ لا بَلَّهم وابل الحيا ولا جاذبوا بيض الترايب ثيابها**

يعني: ثم يتغلب هو عليها، وينهى شأنه، تغمرهما البهجة واللذة والنعيم، فبهذا تنصبغ المودة والرحمة، وتزول الوحشة، وتبتهج النفس. (فقد يدخل الرجل على عدة زوجات، فكلما تكون الزوجة أحشم وأمنع، تكون نفسه لها أتبع، وروحه لها أعلق، والطمأنينة بها أوثق. فتمتزج روحاهما روحًا واحدة في جسدين، يغيب عنهما سوى

ما هما فيه، وتتزايد المودة باستمرار المزح بالبهجة والنعمة، واللعب والراحة، وصدق الله العظيم ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم/ ٢١].

وفي المثل: (كل ممنوع متبوع ـ وكل مبذول مملول).

وقيل:

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . أحبُّ شيء إلى الإنسان ما مُنِعا

أما إذا دخل عليها مشرَّعة أو باللون الأبيض، فإنه لا يجد هذه البهجة والاشتياق ما يجده في المتحشمة، وربما نفر طبعه عنها إذا كان رجلاً به شهامة، كما قد حصل ذلك، لمشابهتها الرجل في اللون والبروز (الانكشاف وقلّة الاستحياء) مما يوقع في نفسه عدم الطمأنينة إلى ثقتها، ولكن أين من يعقل الأفضل عن التقليد الأعمى، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله. (انتهى).

* * *

# اصطياد الجراد

سبق أن ذكرنا طبخ الجراد وأكله، وهنا اصطياده والحصول عليه.

فأول ما يظهر الجراد: خفيف لونه أحمر يسمى (بحرى) ثم يأخذ بالصفار.

وكان يظهر سبع سنين ويختفي سبع سنين، ومن عادة حكمة الله سبحانه أنه إذا ظهر الجراد جاء ربيع، كما يقولون: (رزقه يأتي معه)، فيسمن وينشأ في بطونه بيضه فيطيب أكله، «وفي أكله دواء عام وصحة: لأنه يأكل من كل شجرة في البر» وغالب الأدوية الشعبية من الشجر، لأنه يتنقل في رحلاته كل يوم، فإذا أصبح ودفىء طار في الجو سائرًا، ثم أوله ينزل يرعى من العشب، فإذا تجاوزه الأعلى طار هذا يتبعه وينزل الأمامي وهكذا ينزل هذا ويطير هذا، إلى آخر النهار فينزل للمبيت ويعرقله البرد، ويأتيه الناس يملأون منه أكياسهم شبه ميت.

وكيفية اصطياده والحصول عليه: على حالتين أو ثلاث، ومعروف أنه لا يأتي إلاَّ بالشتاء وقت البرد، فإذا رأوه آخر النهار يطير مشوا معه روّادًا ليعرفوا أين يبيت، فإذا غربت الشمس ضرب على الأرض، يلتف على الشجر والحجر بعضه على بعض، فيرجعون

يخبرون الناس بمكانه، فيستعد الناس بأكياس وثياب، ويذهبون إليه بالليل، على الإبل والحمير وعلى أرجلهم. ويفرحون إذا كان البرد شديدًا يسهل عليهم جمعه كأنه ميت، حتى تطلع عليه الشمس، فيحملون ويرجعون بليلهم إن تيسّر لهم ذلك.

**الحالة الثانية**: أنه إذا أراد ينكت بيضه في الأرض عندما يشتد، فإنه لا يطير ولكن يتراكب بعضه على بعض نهارًا، ويمشي فوق الأرض حول بعضه، فيأتونه نهارًا، ويحدونه يجتمع حول بعضه، ثم يحفرون بالمسحات خندقًا أمامه بالأرض، يسمونه (زِبْيَةً) نحو ذراع بذراع، مستطيلاً من هنا إلى هناك، يتساعدون عليه واحد بعد الثاني حسب كثرة الجراد وقلته، وتراب الزِّبْـيَةِ يزبرونه تلاًّ بجانبها من خلف يمنعه لا يتجاوزها، ثم يحدونه بمجموعه على هذا الخندق يتهافت فيه بعضه على بعض، حتى يمتلىء، ولا يستطيع يخرج منه، فيعبئونه بالأكياس ونحوها.

**الحالة الثالثة**: أن يلتقطونه من الشجر ونحوه إذا كان قليلاً. (ويسرعون عليه بالطبخ حتى لا يموت بأكياسه فيفسد).

والجراد ضرره على المزارع بسيط، ولكن الضرر في أولاده، لأن الجرادة تلد ثلاث مرات في السنة الحالية، وكل مرة تضع تسعًا وتسعين بيضة، لهذا يقولون: إن عيونها في رأسها قد برزت من شدة البكاء: كيف نقصت واحدة عن تمام المائة، فتغرز ذنبها في الأرض وتنكت بيضها، وبعد ثلاثة أسابيع يظهر دُبًّا مثل النمل، ثم يتطور خمس مرات: أولاً قَعَيْسِي، ثم بُرْقان، ثم دُغْمان، ثم كُتْفان، ثم خَيْفان يطير، فأولاده

نوع من العذاب، لأنه يمشي ويطير ويأكل بالليل والنهار ولا يشبع أبدًا، حتى الأثل والنخل يأكله، ويدخل في البلد والبيوت فيتضرر الناس منه، ومع ذلك هو لا يصلح للأكل: ليس به لُب، إلاَّ في حالته دغمانًا عند الحاجة. ويموت إذا اشتد عليه الحر، وقت الكَنَّةْ.

وكانوا يقومون بمكافحة الدُّبا، يقضون عليه قبل يطير، حيث يتجمع حول بعضه، فيأتونه في مواضع تجمعاته، فيحفرون أمامه زبية (خندقًا) مستطيلاً بقدر ما يحضن تجمعاته، يتساعدون على حفره واحد بعد الثاني، ثم ينهمونه (يحدونه على الزبية يتهافت فيها، ثم يهدون عليه ترابها يدفنونه يموت فيها، ثم يذهبون لغيره، وهكذا يقضون على غالبه، ويجتمعون لذلك، حتى إن الأمير يلزمهم بالخروج لقتل الدّبا. ولكن المشكل إذا كان الدّبا في بر بعيد: يصعب عليهم وصوله فإنه يأتيهم إذا طار. (انتهى).

* * *

# قولهم: طِـقْ ومـات

جلس اثنان من رعاة البادية يأكلون عشاهم، فأراد أحدهم أن يشغل صاحبه بالكلام، لأجل يغفل عن العشا فيأكل هو أكثر منه، فسأل صاحبه: هل مات أبوك؟ قال: نعم، وما سبب موته؟ فأخذ الصاحب يشرح حال مرضه وما عالجوه به، وأنهم حملوه من هنا إلى هناك، وأنه كواه فلان، وعالجه فلان، وكذا وكذا،

فلما انتهى الموضوع وفطن للعشا وإذا صاحبه قد أكل أكثره، فعرف مغزى صاحبه وأنه أراد إشغاله عن الأكل، فأراد هو إشغال صاحبه بالكلام ليتدارك ما فاته لعله يحصل له باقي العشا، فسأله: [وأنت أبوك كيف مات؟] ولكن هذا قد استعد للجواب المختصر حتى لا ينشغل عن الأكل كما انشغل صاحبه فأجابه قائلاً: [أبوي طِقْ ومات]، ثم سكت واستمر في الأكل، يعني أنه ضرب فمات. (انتهى).

* * *

## أجـرب ومـات

كذلك قولهم: (أجرب ومات).

جلس اثنان من رعاة البادية على العشا، فأراد أحدهم أن يشغل صاحبه عن العشا، فسأله: ماذا حصلت من المال؟ فأخذ الرجل يقص ما جرى له، وأنه عمل عند فلان مدة كذا وكذا، وتحصل عنده ناقة صغيرة بكرة، وأنها كبرت ولقحت، فولدت بكرة، ثم كبرت البكرة و أنتجت، ثم أنتجت هذه حتى تحصل عنده ذود من الإبل، وكذا وكذا، فلما انتهى من القصص وفطن للعشا، وإذا صاحبه قد غدا به فأكل أكثره، فأراد هو أن يتدارك ما فاته ويشغل صاحبه عن بقية العشا، فقال لصاحبه: وأنت ماذا حصلت من المال؟ فقال صاحبه: (قعود أجرب ومات)، ثم سكت ليستكمل بقيته، ويضرب به المثل في انتهاء الشيء (أجرب ومات). (انتهى).

* * *

# أمثـــال

قال الشريف:

**يا ذيب إيلا جتك الغنم في مفاليك اكْنِـعْ عنـه ليـن الـرواعـي تعـداك**

معناه: إنك تترقب الفرص للأمر الذي أنت تريده، فإذا سنحت لك الفرصة فاغتنمها. قيل:

**ان الغـريـــب لــه حــق لغــربتـــه على المقيمين في الأوطان والسكن**

وقيل: (إذا أكلت إِكَيْلَة فَصُنْها) كما في المثل الآخر: قيل:

صـاد الـذئـب جـرادة، فلمـا صـارت بفمـه سُئِـل: [مـاذا بفمـك يا الذئب؟] فقال: جرادة، وفتح فمه حالة الكلام، ولكن الجرادة طارت حين فتح فمه... ثم إن الثعلب صاد جرادة، وحين صارت بفمه وأطبق عليها أسنانه سئل: [ماذا بفمك يا الثعلب؟] فأجاب: ولم يفتح فمه، بل زاد في إطباق أسنانه عليها، وقال: جْغَيْدِه أي (جْرَيْدة) تصغير جرادة، ومعناه: شعار للاقتصاد والحفظ وعدم التفريط فيما لا فائدة فيه، وماذا نفع الذئب فتح فمه كله تفخيمًا لأمره.

وهذا يشبه الإنسان الذي يعمل عملاً قليلاً ويتقنه ويحفظه، فهو أفود من الإنسان الذي يكثر من الأعمال والأشغال،، ولكن بعضها يذهب في بعض، كما في المثل (قلّل ودلّل)، يعني: قلّل الأعمال وأعطها حقها في الإتقان والحفظ. (انتهى).

## أحسِن إلى المحسن:
## والمسوي تكفيك إساءته

قدم رجل حكيم، على أحد الملوك، فرغب فيه الملك، ورَيَّضه عنده يستفيد من حِكَمِه، فكان هذا الحكيم إذا جلس عند الملك قال: (أحسن إلى المحسن والمسوى تكفيك إساءته) ثم إذا قام من عنده قال له ذلك، يعني أن المسيء تكفيكه إساءته، فصار الملك يزداد رغبة فيه، ولكن أحد خواص الملك: حسده ذلك، وأراد أن يشينه عند الملك ليبعده عنه، قائلاً للملك: إن جليسك هذا قد سئم مجالستك، قال الملك: ولماذا؟ قال: إنه يقول: إن الملك فيه أبخرة: (يعني رائحة فمه كريهة منتنة)، ثم إن الرجل خاصة الملك، عزم الرجل الحكيم ودعاه إلى محله، للقهوة والفطور أو نحوه، وقدّم له طعامًا فيه ثوم، فأبى الحكيم أن يأكله، خوفًا من رائحته حول الملك، فعزم عليه: شبه الزام! فأكله، فلما حضر الحكيم عند الملك على عادته: وإذا هو متلطم، (متلثم)، قد لفّ طرف شماغه على فمه، ليمنع بعض رائحة الثوم عند الملك، ثم ألقى كلمته الحكيمة إلى الملك كالعادة (أحسن إلى المحسن والمسيء تكفيك إساءته)، لكن حين رآه الملك متلثمًا قال: (صدق قول صاحبنا فيه)، فكتب الملك ورقة بيده لوكيله

بالتنفيذ: (كان يكتب إليه بالأوامر من خير أو شر)، ثم وضع الكتاب في ظرف وختم عليه وأعطاه الرجل الحكيم المتلثم، وقال إذهب به أعطه الوكيل فلان.

لكن صاحب الملك الذي قد حسد الحكيم، ظن أن الملك كتب له جائزة ليذهب في سبيله، فحسده إياها، فاعترضه قبل وصوله الوكيل وقال: أعطني الكتاب! فقال الرجل إن الملك أمرني أن أعطيه الوكيل، فقال أنا أوصله الوكيل، فأخذه منه شبه غصب، وذهب به للوكيل، فلما قرءه وإذا به: (إذا أتاك حامله فاقطع رأسه، واسلخ جلده، واحشه تُبْنًا، وانصبه أمامي في الصباح)، فلما قرأ الوكيل الكتاب وقرئه عليه، انزعج عقله، وقال: ليس أنا المعني به إنما أخذته من فلان، فقال الوكيل: إنما أُمِرْنا بحامله، وأنت حامله إلينا. فأشار الوكيل لأعوانه الذباحين، فأخذوه وذبحوه وسلخوا جلده وحشوه تبنًا، فلما كان الصباح وجلس الملك، جاء الحكيم على عادته وجلس عند الملك وهو متلثمًا كأمس، وألقى كلمته إلى الملك: (أحسن إلى المحسن والمسيء تكفيك إساءته)، ثم أتى الوكيل بجثة المذبوح ونصبها أمام الملك، فلما نظر إليها الملك ونظر الرجل: تعجّب من هذا الانعكاس؟ فهذا الرجل المعني بالإعدام أتى على عادته آمنًا، والذي ينصح بالأمس للملك: بالوشاية على هذا: كان هو الضحية؟ هنالك التفت الملك إلى الحكيم وقال: ماذا عملت بالكتاب أمس؟

فقال: اعترضني فلان وغلبني عليه وأخذه مني، يقول: أنا أوصله الوكيل، إني محتاج الجائزة، قال الملك: ولماذا أنت متلثم أمامي؟

فأخبره أن هذا قد عزمه، وقدم له طعامًا به ثوم: قال والزمني بأكله، فأنا أتلثم منعًا لتلك الرائحة أمامك، فقال الملك: وقع مصداق قولك: أحسن إلى المحسن والمسوى تكفيك إساءته، فهو الذي سبك عندنا ووشابك، فوقعت وشايته به، كما تراه. (انتهى).

* * *

# أقــوال

قيـل: (راعي الحاجة أعمى ما يرى إلاَّ قضاها)، وهذا صحيح في بعض الناس، فهو قليل المروءة، فلا يشعر إلاَّ بما يحس به هو، فلا يتألم لمشاعر الآخرين، وهذا ما يسمى «الأنانية» أنا ــ أنا: حنا ــ حنا، كما قال أحد الصبيان للآخر: (رح تغد حنيني، والبس جوختك وتعال نلعب)، يضرب بها مثلاً أن بعض الناس يقيس أمور الناس على نفسه، فيظن أن الناس كلهم كذلك.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (اللَّهمَّ إني أشكو إليك ضعف المؤمن وَجَلَدَ المنافق)، وهذا شيء مشاهد فينا، ونشكوه إلى الله سبحانه. قيل:

يــا أيهــا الــرجــل المعلــم غيــره ... هــلا لنفســك كــان ذا التعليــم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضَّنا ... كــي مــا يصــح بــه وأنــت سقيــم
لا تنــه عــن خلــق وتــأتــي مثلــه ... عــار عليــك إذا فعلــت عظيــم

وقال راكان بن حِثْلَيْن في قصيدة له:

الـذَّمْ مـا يهفـي نصيبًـا لـلأجـواد ... والمـدح مـا يـرفـع لـلأنـذال ميـزان

(انتهى).

* * *

## تنبيهات شعـريـة

وغيري أعلم مني بذلك، لكن جهد المقل، لمن لا خبرة عنده بذلك.

**أولاً**: عدم تكرار اللفظ في القصيدة الواحدة.

**ثانيًا**: ترك بناء القافية على حرف الراء ابتداءً، قال ابن مشرف في بعض ردوده على أهل الباطل:

**إختـار حـرف الـراء عجـزًا وإنمـا　　　يعدون حرف الراء عَيْر أولى الشعر**

**ثالثًا**: إذا هجوت أحدًا فلا تصفه بشيء يستطيع هو أن يصفك بما يعلوا على كلامك. فقد تَضَادَّ حاكمان فأراد أحدهما أن يغزو على الآخر يحاربه، فتكلم شاعره بقصيدة يتهدد بها ذاك الحاكم، منها قوله:

**حنـا كمـا ضِلْـعٍ صليـب الحجـاره**　　　. . . . . . . . . . . . . . . . . . .

والضلع هنا هو الجبل، فلما بلغت ذاك الحاكم رد جوابًا لها، قال شاعره:

**أنتـم كمـا ضلـع صليـب الحجـاره　　　وحنا كما نجم على الضلع حدار**

ومعلوم أن النجم إذا سقط على الجبل يهده.

**رابعًا**: أن الشاعر يحامي لكلامه، فلا يرضى أن يعبث به أو يقال بلفظ غير لفظه هو: فيتغير معناه لأن هذا الخطأ يرجع للقائل الأول، فهو يحاذر ذلك، كما قال:

**والله مِـن بيـت ورا الصـدر مكنـون اخاف من جِهِّيل الملا يدمرونه**

**(انتهى)**.

* * *

## تنبيه

كثير من الناس لا يعلِّقون أفعالهم على مشيئة الله، فتجده يقول: سوف نفعل، سوف نذهب غدًا، سوف نأتي، سوف كذا، سوف كذا، ولا يقول إن شاء الله، وهذا مما يضعف أمره ويوهنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف/ ٢٣ ـ ٢٤].

جاء في حديث متفق عليه: أن داود عليه السلام قال: لأطوفن الليلة على تسع وتسعين امرأة كلهن يلدن ولدًا يقاتل في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله، فلم يلدن إلاَّ واحدة ولدت نصف ابن، حيث لم يقل إن شاء الله. (انتهى).

* * *

## تسميت عبد اللّٰه.. عَبْدُه

معـروف أن الـرب الحقيقـي هـو الـذي يستحـق أن يكـون إلـٰهًـا، ويجب علينا التألّه له (واسم الجلالة أَللَّـٰه)، هو أعظم أسماء الرب الإلـٰه سبحانه، ولكن عند أهل الجهل والضلالة، أن الإلـٰه هو: الرب فقط، فإذا قلنا لا إلـٰه إلاَّ الله، قالوا نعم، الرب موجود، وإذا قلنا يا أللَّـٰه: قالوا: يا رب يا رب، وإذا سمينا عبد الله، سموه عبده، وهذا كثير في أسمائهم، وبعضهم لا يقول لا إلـٰه إلاَّ الله، أبدًا، إنما يقول: هو، هو، وهذا مذهب معروف عند الصوفية أهل البدع والضلال، عافانا الله من ذلك. (انتهى).

* * *

## كيس العطار..

قولهم: (كيس العطار ــ ما ياصل باب الدار)، كان الناس ليس لديهم أكياس، ولا كراتين في الأسواق والدكاكين، (ظروف لأغراض الزبائن)، ولا يوجد أكياس نايلون، لأن النايلون لم يظهر إلاَّ قريبًا. فإذا أراد الإنسان يشتري شيئًا من السوق والدكان أخذ معه كيسًا من بيته لأغراضه، إلاَّ العطار فإنه لا بد أن يحتزى أكياسًا صغارًا أوعية للمبيع الخفيف، والعطار يشتريها مجلوبة عليه: تعملها بعض النساء في البيوت، إذا سَمِلَ الثوب ولم يصلح للبس قطعوه وخاطوه أكياسًا وباعوه على العطارين ونحوهم، وحيث يكون الثوب سمل، فيكون الكيس كذلك سريع الانشقاق والانهيار، فيقولون: (كيس العطار ما ياصل باب الدار).

وأما اللحم: فإن بيعه ذاك الوقت بدون وزن، إنما يباع أعضاء وأوصالاً وسهامًا على الفراش، فإذا اشتريت لحمًا وليس معك كيس فإن القصاب (الجزار) يشكه (يخله) ينظمه بخيط من سعف النخل أو غيره ويعقد طرفيه وتعلقه بيدك داخل بشتك، لأن الناس يستعيبون أن يحمل اللحم مكشوفًا بدون تغطية.

## هنا طُرْفَة:

اشترى أحدهم لحمًا وخَلَّهُ القصاب له بخيط وعلقه بيده داخل بشته، ومضى إلى بيته مارًا بالدكاكين، فانقطع الخيط وسقط اللحم في التراب، فتركه صاحبه وهرب، وإذا رجل جالس عند صاحب دكان: فناداه: يا صاحب اللحم تعال خذ لحمتك، فلم يلتفت إليه، فقام الرجل وأخذ اللحم في طرف بشته أو بكيس من الدكان، وذهب به إلى زوجته، وقال اغسليه وأصلحي عليه لنا عشاء قرصانًا، فأنا عازم رَجّالاً على العشا، ثم ذهب إلى الرجل وصلّى معه الظهر، وعزمه على العشا، وأقسم عليه فأجابه، فلما حضر وجعلوا يأكلون من اللحم، قال هل هذا لحم زين؟ قال الرجل: نعم، فقال: هذا لحمك الذي سقط منك وتركته، ولماذا لم ترجع عليه وتأخذه؟ فقال الرجل: والله لكئنها سقطت عني ثيابـي من الحيا. (انتهى).

* * *

## أداة التنظيف سابقًا

كان الناس لا يوجد لديهم الصابون، ولكن يتخذون للتنظيف نوعين من إنتاج الوطن:

نوع من الإشنان، كما في المثل السائر (غسلت يدي عنك بالإشنان)، للأواني واليدين، والنوع الثاني: هو الجص المعروف بالجبص، صالح جدًا للثياب والجسم، لأن الإشنان لا يخلو من أثر الأعواد، مما يعلق بالثوب، حيث كان يقتطف من ورق شجر الإشنان، من شجر البر. (انتهى).

* * *

# تَوَلُّدُ طويق

طويق هو: الجبل المعترض جنوبي نجد، يبتدىء شمالاً من بلاد الزلفي، حتى حصاة قحطان جنوبًا، إلاَّ أن الله قد فتق في أثنائه منافذًا وطرقًا تسهيلاً لعباده وفيه منافع وحكم لا يحصيها إلاَّ الله سبحانه، يضرب به المثل (يقال: إن طويق أقام سنتين يتولد فولد سِحِبلَّة). والسحبلة (دويبة برية سليمة لا تضير على أحد، دقيقة، لها ذنب طويل ولا ينفر منها الإنسان ولا تنفر منه، يضرب مثلاً للأمر الضخم ونتيجته قليلة، فيقال: (مثل تولد طويق أخذ سنتين يتولد فولد سحبلة). (انتهى).

* * *

## وصـيـة المسـلم
## فيما يخلفه بعـد الموت:
## سِوا الوصية بالدَّين والحقوق الخاصة

بسم اللّـه الرحمن الرحيم

هذا ما أُوْصِي به أنا فلان ابن فلان، وأنا أشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق وأن الله يبعث من في القبور. أُوْصِي مَنْ خلفي بتقوى الله بأن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئًا، وأن يعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرقوا، وأن يصلحوا ذات بينهم. وأوصى بثلث ما خلفت من المال: أو بربعه: أو بخمسه: أو بالعقار الفلاني، يصرف ريعه (محصوله) في أعمال البر من نفع قريب محتاج، أو أضحية على الدوام لي ولوالدي، أو حج لي، أو لفلان أو فلانه، أو لسراج المسجد وقت الصلاة، أو فطور الصوام في المسجد، أوقات الحاجة، أو قربة ماء للشرب أو للوضىء، أو حفر بئر للشرب أو الوضوء، أو إصلاح طريق أو كذا وكذا من أعمال الخير والإحسان، والوكيل على ذلك ابني فلان، أو فلان ابن فلان، شهد على ذلـك فـلان وفـلان وشهـد بـه وكتبـه فـلان ابـن فـلان والله خيـر شـاهـد

وصلّى الله على نبيّنا محمد، فيه حديث بنحو هذه الوصية، أخرجه: الدارمي.

أو يقول: هذا ما أوصىٰ به فلان ابن فلان وهو يشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله.. وأوصى بكذا وكذا، إلى آخره.

وبعض الناس ما يرغب يوصي بشيء من الثلث أو غيره، إذا كان له أولاد يحتاجون، يريد بذلك إغنائهم عن الحاجة إلى الناس، فيقول: أولادي هم وصيتي بالبر، إن هداهم الله وأصلحهم: نالني دعائهم، وأضحيتهم، وصلتهم، وعملهم البِرِّلِيْ. (انتهى).

* * *

## القاتولة..

تكون أحوال الناس مرهقة في بعض الأزمنة، حتى وهم في بيوتهم، فتارة يخافون من عدو، وتارة من غريم يطلبهم حقًا وليس عندهم ما يعطونه، وتارة يأتيهم ضيف وليس يجدون له قِرى (طعام) فيتركونه ليذهب إلى من عنده قِرى، فَمِنْ أجل ذلك لا بد أن يجعلوا فوق باب البيت (قاتولة) ويقال لها: طُرْمة، وهي فتحة من السطح أو أثناء الدرج، مستورة ببناء بارز من خارج، تسع رأس الإنسان وصدره من الداخل، وبها خروق من تحت والجوانب، فأعلاها صفر، وأسفلها نحو ذراع ــ بذراع، ويكون ما فوقها من الداخل مطموم ليكون داخلها ظلام حتى لا يُرى من فيها من الخارج.

فإذا طق الباب أحد، أو تكلم ولم يعرفوه، صعد أحدهم بسرعة ينظر إليه من خلال خروقها، ويخبرهم من هو، فإن كان صديقًا أو إنسانًا عاديًا جاوبوه، وإن كان عدوًا أو غريمًا أو مجهولاً سكتوا عنه، فقد أدركنا بعض هذه الأحوال.

أتى أحدهم للمسجد ليصلّي: وإذا غريمه قد أتى إليه في المسجد ونظر فيه يريد يمسكه بعد الصلاة بحقه، فلما دخل الغريم مع الإمام في

الصلاة خرج الرجل المدين من المسجد وترك الصلاة هنا خوفًا من لزوم غريمه إياه، نعوذ بالله من الفقر والدين.

والقاتولة تجدها الآن موجودة في بقايا البيوت القديمة، والقصور، والمقاصير للحرب وغيره، أما تسميتها (بالقاتولة) فهي تسمية صحيحة، لأن الذي فيها يبصر من هو خارج: وإن اضطرت الحال أن يرميه ويقتله فعل، وذاك لا يبصره، وتسميتها (بالطرمة) فهي تسمية مطابقة أيضًا، فهي تكشف ولا تكشف. (انتهى).

* * *

# تبادل المروءة

هناك قصة قديمة:

قيل: أن شابًا حصلت عليه قضية، وذلك أنه قتل إنسانًا، فقام أهل المقتول بطلب حقهم ليقتل، فأخرج من السجن وأوقف في موضع تنفيذ القصاص، فلما هيأوه ليقتلوه، قال: أمهلوني ثلاثة أيام أذهب وأرجع إليكم، فقالوا: إنما تريد تهرب من القتل، فلا نريد نفلتك فقال: بل أفلتوني أذهب وأرجع فإن لي حاجة، فقالوا: قدم لنا كفيلاً يقوم مقامك، فنظر الشاب وجوه الحاضرين فاستسمح وجه أحدهم فعنَّزَ عليه، وقال: اكفلني وسوف أرجع بعد ثلاث إن شاء الله، فأجابه الرجل، فتقدم مكان الشاب، فأمسكوه وأفلتوا الشاب وذهب، فلما كان اليوم الثالث وانتهى الموعد، أخرجوا الرجل وأوقفوه ليقتلوه، فانتظروا قليلاً وإذا الشاب قد أقبل وأتى إليهم، فلما وصلهم تعجبوا من وفائه، وقالوا: كيف حضرت وأنت تعلم أنك تقتل؟ فقال: إني خشيت أن أَسَبِّب قطع المروءة بين الناس، فقالوا للرجل الكفيل: هل تعرفه حين كفلته؟ فقال لا، ولكن حين عنز عليَّ أبت مروءتي أن أرفض، وخشيت أن تنقطع المروءة بين الناس، فقال أهل المقتول: ونحن لم تنقطع المروءة منا، قد عفونا عنه فتركوه وذهب.

وقد ذكرنا أن عامة أهل نجد وغيرها كانت عامة وسائل النقل عندهم، هي الإبل، فتجد بعضهم لديه عدد من الإبل يكاري عليها لجلب الأرزاق والأموال من البنادر لقلب الجزيرة، والبندر عند العامة: هي الميناء ونحوها، البلاد التي ترد عليها الأموال والأرزاق وتصدر منها. (وهاك بقية قصة). فقال الراعي: لا مانع خذ ناقة واركبها، فلا أمنعك من ذلك، لِما أعلم من تبادل المروءة والمعروف بينك وبين امعزبـي حيث أعطيته ذاك التمر عند الحاجة ولم تأخذ له قيمة، فركب المسند الناقة وتطلب إبله فوجدها، فرجّع الناقة إلى صاحبها، والحمد لله رب العالمين، فلما أخبر الراعي معزبه بذلك قال له: أحسنت حيث أعطيته الناقة ولم تمنعه منها. (انتهى).

* * *

# قصيدة الصنعاني..
# في الحث على سلوك الصراط المستقيم

نقلناها من كتاب (روضة الأفهام) لحسين بن غنام الأحسائي، في ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآل سعود في بداية أمرهم، رحمهم الله أجمعين. قال الأمير محمد الصنعاني رحمه الله:

أَمَا آن عما أنت فيه متاب … وهل لك من بعد البعاد إياب
تَقَضَّتْ بك الأعمار في غير طاعة … سوى عمل ترضاه وهو سراب
إذا لم يكن مسعاك لله خالصًا … فكل بناء قد بنيت خراب
فللعمل الإخلاص شرطًا إذا أتى … وقد وافقته سنة وكتاب
وقد صين عن كل ابتداع وكيف ذا
وقد طبق الآفاق منه عُباب؟
طغى الماء من بحر ابتداع على الورى
فلم ينج منه مركب ورِكَاب
وطوفان نوح كان في الفلك أهله
فنجاهم والغارقون تباب
فَأَنَّا لنا فلك ينجي وليته … يطير بنا عما نراه غراب
فأين إلى أين المطار وكلما … على ظهرها يأتيك منه عجاب

نسائل من دار الأراضي سياحة عسى بلدة فيها هدًى وصواب
فيخبر كل عن قبائح ما رأى وليس لأهلها مَظِنَّتْ متاب
لأنهم عَدَّوا قبائح فعلهم محاسنًا يرجى عندهن ثواب
كقومٍ عراة في ذُرى مِصْرَ ما تُرى على عورة منهم هناك ثياب
يدورون فيها كاشفين لعورة تواتر هذا لا يقال كذاب
يَعُدُّونهم في مصر من فضلائهم دعاهم فيما يرون مجاب
وفيها وفيها ما لا يعده لسان ولا يدنو إليه خطاب
وفي كل مِصْرٍ مثلُ مِصْرَ وإنما لكلٍّ مسمى والجميع ذئاب
ترى الدين مثل الشاة قد وثبت له ذئاب وما عنه لهن ذهاب
قد مزقته بَعْدُ كلٌّ ممزق فلم يبق منه جثة وإهاب
فلم يبق للراجي سلامة دينه سوى عُزلة فيها الجليس كتاب
كتاب حوى كل العلوم وكلما حواه من العلم الشريف صواب
فإن رمت تاريخًا رأيت عجائبًا ترى آدم إذ ذاك وهو تراب
ولاقيت هابيل قتيل شقيقه يواريه لما أن أراه غراب
وتنظر نوحًا وهو في الفلك إذ طغى على الأرض من ماء السحاب عُباب
وإن تشأ كل الأنبياء وقومهم وما قال كل منهم وأجابوا
ترى ما تهوى في القوم مؤمن وأكثرهم قد كذبوه وخابوا
وجنات عدن حورها ونعيمها ونار بها للمسرفين عذاب
فتلك لأرباب اتقى أو هذه لكل شقي قد حواه عقاب
وإن ترد الوعظ الذي إن عقلته فإن دموع العين عنه جواب
تجده وما تهواه كل مشرب فللروح منه مطعم وشراب

ومـــا مطلـــب إلاَّ وفيـــه دليلـــه وليـس عليـه للـذكـي حجـاب
وفيـه الشفـاء مـن كـل داء فَثِقْ بـه فـوالله مـا عنـه ينـوب كتـاب
ولكـن سكـان البسيطـة أصبحـوا كـأنهـم عمـا حـواه غضـاب
لا يطلبـون الحـق منـه وإنمـا يقـولـون مـن يتلـوه فهـو مثـاب
فـإن جـاءهـم فيـه الـدليـل مـوافقًـا لمـا كـان لـلآبـاء إليـه ذهـاب
رضـــوه وإلاَّ قيـــل مـــؤول ويركب في التأويل فيه صعاب

إلـى آخـر القصيـدة، وهـذا مـا أردنـا إيـراده منهـا، والله أعلـم. (انتهى).

* * *

## قولهم: المهتوى يقطع المستوى

(هذا مثل سائر وفيه قصة).

كان رجل هنا: خطب امرأة ليتزوجها فأجابته، ولكن وليها (أخوها الذي لا بد أن يتولى عقد النكاح غير موجود هنا: لكنه موجود في بلدة الزلفي، وبلدة الزلفي تبعد عن بريدة عدة مراحل، فاستصعب الرجل الخاطب وصولِ أخيها هناك: فذهب الرجل إلى الشيخ القاضي، فأخبره بالأمر، وطلب منه أن يعقد له على المرأة: حيث كان القاضي ولي من لا ولي له، ولكن الشيخ لا يستهين بأمر الولي في النكاح: فقال للرجل: اذهب إلى أخيها بالزلفي لعله يعقد لك عليها، فإنه لا بد من اطلاعه على الموضوع وموافقته عليه. فاحتج الرجل بأن المسافة بعيدة كما هو معلوم، طريقه يمر بالبر الواسع المسمى المستوى، ونفود الثويرات، وهذا شيء شاق، فقال الشيخ: يا رَجَّال (المهتوى يقطع المستوى)، المهتوى هو الراغب: مشتق من الهوى، والهواية. فصار يضرب به المثل (المهتوى يقطع المستوى) وهو صحيح مشاهد في سائر الأحوال، إذا كان الإنسان له رغبة في شيء هانت عليه الصعوبات، وعرف وتبصر بما لا يصبر عليه ويتبصر به من لا رغبة لديه: وهذا من مكنونات الغرائز. (انتهى).

يقال: (الكبد مَلْسًا تأكل وتنسى) الكبد: كناية عن الإنسان، يعني الإنسان قد يأكل حق غيره فينساه، ولكن صاحب الحق لا ينسى حقه غالبًا. (انتهى).

* * *

# ليتها على طمام المرحوم

(هل تعرف ليتها على طمام المرحوم؟).

كانت الأحوال الماضية متقاربة: فالبيوت صغيرة متقاربة، والناس قليل، والأعمال حالية متماثلة: وأهل القرى والفلاحون يتساعدون أحيانًا، ويجلسون حول بعضهم أحيانًا رجالاً ونساء على عفاف وحشمة: كما في المثل: (أهل القُرَيَّة كُلٌّ عارِفٌ أَخَيَّهْ).

وكان الرجل يجلس يعمل القهوة في مجلس القهوة، ويوقدون لها نارًا على حطب، ويجلسون حولها لانتظار نضوجها وتبادل السوالف والراحة والكيف.

فهذا رجل جلس يعمل القهوة هكذا، وعنده رجل جالس عن يمينه من أصحابه، إما عامل أو قريب أو جار: وقد جلست المرأة أيضًا تجاهه حولهم، تستمع السوالف، وكانت مغفلة، فغفلت عن نفسها، فانكشف بعض ثوبها: فأراد الرجل أن ينبهها لتستتر، ولكن أحب أن يُغْفِلْ عنها الرجل جليسه، فاقترح رأيًا جيدًا لو نجح! فنظر إلى الرجل ثم رفع رأسه إلى سقف الغرفة (المجلس) وقال إننا كشفنا طَمَام هذه القهوة (المجلس) بعد طمام المرحوم وطميناها طمامًا جديدًا: وحين

رفع الرجل الجليس بصره إلى السقف ينظر فيما يقول صاحبه: أخذ الرجل الملقاط، وهو آلة تصليح النار، ونخس به المرأة لتنتبه فتستتر وكانت غافلة، فقفزت على غفلة وانطلق منها صوت مكروه، فسمعه الرجل الجليس، وهو ينظر في السقف، وكان سريع البديهة وعرف مقصد الرجل فقال: ليتك خليتها على طمام المرحوم، (الكلام في طمام الغرفة (المجلس) والمعنِيْ هي المرأة: يقول ليتك تركتها على حالتها الأولى فهو أخف ضررًا حيث قد حدث مشكل آخر، فصار يضرب به المثل في الأمر المستبدل بأكره منه (ليتها على طمام المرحوم)، والمراد بالمرحوم هنا أبوه الميت: والطمام، هو سقف البيت أو الغرفة، وهي لغة لها أصل: من قولهم (فلان طم أمره على أمر فلان) أي غلبه وغطّاه.

ويقال له غَمّا: وهذا أيضًا له أصل: مأخوذ من الإغما وهو تغطية العقل. (انتهى).

* * *

## من التطبب في القديم: طَقُّ الفِقْرَةِ

تواترت النقول عند العامة عن أهل التطبب في القديم: «طَقْ الفِقْـرَة» والفقـرة هـي: مجمـع الـورك بـالظهـر؛ إذا تـأخـر علـى المـرأة الحمل، حيث يرون أن عروق الرحم فيها تسدد، والطق قَدْ يَفْتَحها.

وصفة الطق هو: أن المرأة تنبطح على بطنها، ظهرها فوق، فيضربون فِقْرتَها بشيء ثقيل عدة ضربات، ثم يباشرها الزوج بعد الضرب مباشرة، فتحمل بإذن الله تعالى، كما في المثل: «هُوَ مَطْقُوقٌ بِهِ الفِقرة» للشيء القليل المشفق عليه.

وحدثني رجل ثقة، عن مسألة حصلت عندهم في إحدى القرى، قال: كان فلان يروس الماء بالزرع، جاءت إليه فلانة، وكانت تظن به التطبب، فقالت: يا بو فلان، (أنا ما حملت ورَجْلِي ضائق صدره يبغي عيال، وأخاف يعرس، هو ما عندك لي علاج للحمل؟) فقال بلى، روحي لهذا الشعيب إملىء حِجْرَكِ من حدج الشرى (الحنظل) وهاتيه، فذهبت وأتت بملىء حجرها حدج شرى وألقته عنده بناحية الزرع، فقال لها: انبطحي على وجهك، فأخذ حدجة من الشرى ورجع إلى ورا عدة خطوات، ثم أتى يعتب من رِجْلٍ على أخرى فضربها بها مع الفِقْرَةِ، (مجمع الورك بالظهر) وقال: قولي: (ما بالي) فقالت ما بالي، ثم أخذ حدجة أخرى وفعل بها مثل ذلك، حتى نفد هذا الحنظل المزبور، ثم

قال لها قومي اذهبـي لزوجك حالاً، فحملت بقدرة الله تعالى.

وفعل هذا الرجل مع هذه المرأة ليس به ريبة، لأن المزرع مكشوف، والمزارع هنا متقاربة، كلٌّ يعمل في مزرعته، فهو لم يخلو بها.

ثم إني سألت رجلاً من أهل التطبب في القديم، موجودًا هنا حتى الآن، عن هذا الأمر؟ فقال نعم هذا شيء معروف ومستفاد منه، ثم قال: كان رجل يتطبب، يركب حماره، يدور على القرى والبادية ونحوها، أتى هو وصاحبه على أهل بيت في البادية، فقالت لهما المرأة: هو ما عندكم علاج للحمل؟ فأنا لي مدة ما حملت، وزوجي هذا ضائق صدره؟ (وكان المتطبب وصاحبه قد اشتاقا إلى أكل اللحم، وانتهزاها فرصة لذلك) فقال بلى عندنا علاجه، ولكن لا بد من ذبح شاة سمينة وإحضار قوائمها الأربع، فنحن ندور على الجماعة ونرجع إليكم العصر، فقال الرجل لا بأس سوف نفعل إن شاء الله، فقام وذبحها وأبرز قوائمها الأربع، فلما جاء قال للمرأة: تعالي هنا وانبطحي على وجهكِ، فأخذ إحدى قوائم الشاة فمسكها بطرفها (الساق) ورفعها بيديه وضربها بها على فِقْرَتها وقال: (تطيبين) فناول اللحمة صاحبه (هاك يا عبد الله) يضعها في عفشه، ثم أخذ الثانية وضربها بها (تطيبين) هاك يا عبد الله: يناولها صاحبه، ثم الثالثة والرابعة، ثم قال هالحين المباشرة: وسوف تحملين إن شاء الله، فحملا لحمهما وذهبا، وبعد نحو أربع سنين، جاء الرجل البادي معه جائزة يهديها للرجل المتطبب: (هي كيس أقط وعكة سمن) إعْرابِـي، ومعه امرأته تحمل طفلاً ويمشي خلفها طفل، وقالت: هما من الله ثم من علاجك. (انتهى).

# الاغترار بالمنصب

كان رجل ذو شأن: كان له صاحب اسمه زيد، فذهب الصاحب وتزوج امرأة من عائلة أهل دين وعدالة، فاقتبس منهم خيرًا وصلحت أحواله ووفر لحيته، بعد أن كان يحلقها، وبعد مدة سَأَلَ عنه صاحبُه الرجلُ الأول: فَأُخْبِرَ بحاله، فاستهزله، وتمثل بقصيدة يستهزء به وبلحيته قال فيها:

يـا زيـد أبـا استفتيـك بـامْرٍ عسيـر ... حلـق الشعـر هـو حـلال وإلا حـرام
استفتيـك حيثنـك رجـال بصيـر ... ولـك لحيـة تشبـه اشعفـة السنـام
أنـا احمـد الله مـا بعقلـي خشيـر ... ولا انـا مقلـد واحـد مـن عمـامـي
بِبـاطِـي الثنتيـن غـزل كثيـر ... واكثـر منـه يـا زيـد حـدر الحـزام
لـو تـدخـل الجنـة دخلهـا البعيـر ... ولكـن بـالأعمـال تنجـا الكـرام[1]

(الجواب من زيد)، قال:

فتـواك هـذي مـا تـريـد تعبيـر ... مفسـرة بـالكتـب سـرج الظـلام
كَـانِـكْ بحلـق لِحْيِتِـك تستشيـر ... مـا يحلـق اللحيـة احـذات الفـدام
الـرجـل فضلـه العـزيـز القـديـر ... علـى العـذارى لابسـات اللثـام

---

(١) بتصغير حرف الكاف على لغة بعض العامة.

ملبوسه الأبيض لباس شهير ولـه لحية تَشْدا جناح القطام
يرشها فالطيب لو هو فقير[1] ما يجدعه مع شعرته فالدرام
إيلا جاك يوم شره مستطير ما ينفع العاصين كبر الأسامي

ونستفيد من إيضاح بعض ألفاظها.

اشعفة السنام: هو الشعر فوق سنام البعير، مستطيل فوق، ومثله شعفة الجبل أعلاه، وشعفة الجدار أعلاه، وهذا الوصف لغير المدح، وأما في باب المدح فيقال ذروة السنام وذروة الجبل، الأعمام هنا يعني أهل الزوجة: الغَزِل: هو الشعر: ويعني به شعر ابطيه وعانته، قوله: بالأعمال تنجوا الكرام: هذا حق نطق به، مع أنه لم يعمل به، حيث استهزأ بديانته ولحيته وشبهها بما ذكر والاستهزاء بشيء من أمور الدين (نفاق اعتقادي)، ولهذا أسكته زيد في جوابه حيث ألقمه حجر.

قوله: تشدا جناح القطام: أي تشبه جناح الصقر الحر الطيب. (انتهى).

* * *

(١) بتصغير حرف القاف على لغة البادية.

## هذا بلا أبوك يا عقاب

ماتت زوجته أم اعقاب: ويظهر أن اسمها (سين) أو ياسين، فجعل يبكي عليها فقال له ابنه: وش بلاك تبكي على أمي وهي إذا استلقت على ظهرها أنا أدخل من تحتها؟ فزاد بكاؤه وقال: هذا بلا أبوك يا عقاب: فجعل يرثاها بقصيدة، منها قوله:

ياسين يام اعقاب ياسين ياسين ... يا عين خِشْف الريم ترعى وَحَدْها
إيلا شافتني زعلان قامت تْرَضِّين ... مثل الشفوق اللي تُرَضِّي ولدها
وإيلا شافتني بردان قامت تدفّين ... وترصني على الضماير بيدها
ما دوجت بالشين بين الفراقين ... ولا طوحت يم الرفايق جهدها

قوله: أنا أدخل من تحتها: يعني قد برزت معازل جسمها من حسنها، فزاد حزن الأب عليها حين ذَكَّرَهُ ذلك. (انتهى).

* * *

## قـاعـدة
## في نصب بيوت الشعر في البر

كانت للناس عادة لا ينبغي إغفالها، في نصب بيوت الشعر في البر، ومثلها الخيام المستطيلة: فإنهم دائمًا ينصبونها ممتدة لمطلع الشمس ومغربها، حتى لا تدخلها الشمس من شروقها حتى غروبها، وكان أكثر هبوب العواصف من جهة الغرب الشمالي فيتحملها البيت بالطول أكثر من تحمله بالعرض.

ويخصصون الجزء الشرقي منه مجلسًا للرجال، ويكون مكشوف الجوانب دائمًا، إلاَّ في حالتي الرياح والبرد.

ويخصصون الجزء الغربـي قسمًا للنساء ويكون مسترًا دائمًا، إلاَّ في حالة خلو الجو من الناس فيكشفون الجهة الجنوبية وقت الشتاء للشمس والدفء، وفي حالة الحر يكشفون الجهة الشمالية للبراد.

**وهنا قاعدة أيضًا لازمة:**

إذا قدم الضيف على أهل البيت في البر، فإنه لا يأتيهم من جهة قسم النساء، أبدًا ولا من حول الجهة المكشوفة النسائية منه: لأنهم لا يجهلون هذه العادات، ومن تجاهل ذلك عابوه، وأنبوه، وعدوه

قاصر المعرفة والمروءة، وربما ضربوه، إنما يأتيهم من جهة قسم الرجال الشرق.

**وهنا قاعدة في نزول الجار لديهم وارتحاله عنهم:**

إذا قدم عليهم أحد يريد ينزل بجوارهم، قاموا إليه، ورحبوا به وساعدوه على إنزال عفشه ونصب بيته، وأحضروا له الماء والحطب، وفورًا عملوا لهم قهوة وطعام الضيافة، وقاموا برعي ادباشه (المواشي) حالة نزوله حتى يرتاح ويستقر به القرار، ثم هو يقابلهم بالشكر والإكرام.

أما إذا أراد الجار أن يرتحل من عندهم، فإنهم لا يساعدونه على الارتحال، ولا يحملون معه عفشه على رواحله، فيقولون: ليس من المروءة أن نساعد جارنا على الارتحال عنا. كما قالت الشاعرة تمدح زوجها:

**يا عنك ما حس الرفاقه ولا قيل ذا مْغَثّي ما يِنّزِلْ حول جَوِّهْ**

تعني أنه رَحْب المُحْيَّا حسن الجوار لا يغثى على أحد. (انتهى).

قيل:

**مـن ذاق تمـر الـربيعيـه مـا عـاد يسلـى بليّـاهـا**
**لا عـاد شقـرا وخضـريـه وشنينـة بـارد مـاهـا**

يقال: (كيف تصيح وأنت الفوقاني؟ قال: خائف من الإنقلابه)، فيه أخذ الحيطة للأمور المخوفة. (انتهى).

❊ ❊ ❊

## التساعد في الماضي

ومن الأحوال الماضية، التي تبنى عادة على الثقة والتعاون، لإصلاح رجال المستقبل: (تأديب الأولاد): حتى غير أولاده، كما قال أحدهم:

والله لـولا الخـوف مـن خـالـي    لا حـط الكسـوة اعـرينيـه
واشمـاغيـن حـدر اعقـالـي    وِدِّكْ تشـوف الطـاقيـه

وقال زهير: يمتدح قوم هرم بن سنان، لمدحه، حيث أصلح بين قبيلتين فقال:

وإن قـام فيهـم قـائـمٌ قـال قـاعـدٌ    صدقت فلا غُرْمَ عليك ولا خذل

يمدحهم بالطواعية والإئتلاف والتعاون، بثقة بعضهم ببعض لصلاح مجتمعهم، بخلاف أهل التباغض والتحاسد والعناد والاختلاف، (تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى). (انتهى).

* * *

## الـرائـد

قال الشاعر:

مـا أَنْـتَ أَوْ سَـارٍ غَـرَّهُ قمـرُ      أو رائـدٍ أعجبتـه خُضْـرَةُ الـدِّمَـنِ

المعاني: (الساري): هو الإنسان يسير بالليل في الطريق البري، وإذا كان اعتماده على نور القمر، فقد يغيب القمر فيستحكم عليه الظلام فيظل الطريق: فيكون قد اغتر به، حيث لم يعرف النجوم والجدي ليعتمد عليها، (وأَوْ: هنا: بمعنى مثل).

(والرائد): هو الرجل يرسلونه يرتاد لهم الربيع في بعض جهات البر، فإذا أخبرهم عن أرض فيها ربيع ارتحلوا إليها بمواشيهم، ولكن قد يكون الرائد غير ذكي، والربيع غير جيد، فمنازل البادية في البر، ومعاطن مواشيهم: يسمونها الدِّمْنَة: فالدِّمَن جمع دِمنه: قد يكون بها خضرة عشب غير عريق، قد نبت على المطر الخفيف والطل، يسمونه ربيع الدمنه، فهو سريعًا يهشم إذا طلعت عليه الشمس، فالرائد الذكي لا يغتر بخضرة الدمنة (المنازل والمعاطن): فلا يذكرها لهم ولا يأمرهم بالارتحال إليها. المعنى: أنك إذا اغتررت بأمر لا ينبغي الاغترار به فأنت مثل سارٍ غَرَّهُ نور القمر فغاب عنه، أو مثل رائد غبـيٍّ أعجبته

خضرة المعاطن فاغتر بها، فذكرها لجماعته، فارتحلوا إليها وإذا هي ليست بشيء. (انتهى).

قولهم: (مَنْ أخذ من قومٍ تَحَلَّى اوجيهه).

(يعني): أنه يجد في أولاده شَبَهَ أخوالهم غالبًا، لأن الخال جذاب.

يقال: (حسن المعاشرة من قلّة المعاسرة)، وهو صحيح.

قولهم: (مصايب قوم غنائم عند آخرين)، كما يقال:

طير يطرد طير ــ طير يبـي الخير وطير يبـي السلامة.

كانوا يصفون الحطب البري أيهما أحسن، فيقولون:

مـا لإرْطـا أحسـن مـن الغضـا ميـر إن الإرطـا بـالطلـول علـوق

يقال:

إذا كـان مـا عنـدك رأي فخـذ مـن رأي الـرجـال دليـل

ويقال:

الضحـك والكَـرْكَـرَهْ تـراه هـو عيـب المـره
وإلاَّ عيـوب الـرجـل الْعِلْـكُ والطقطقـة

سافر شاب لطلب أسباب المعيشة، فلما قدم بعد مدة، وإذا قد وسمته اتعوس السفر، بنشوفة الجسم وسواد الوجه، قد ذهب رونق بهائه تلك الفترة، فَقَلَتْه زوجته لذلك وقالت: وراك متغير بعدي، ناشف الجسم أسود الوجه؟

فأجابها بقوله:

يـا بنـت يَـوْمِنِّـك ابـوجهـي تهـزيـن    وجهي غدت سمر الليالي اِبْزِيْنِهْ
مَـرٍّ انضحـي والمضحـا لنـا زيـن    ومـرٍّ نشيلـه بـالمـزاود عجينـه

يعني: قد يهربون عن القوم، إلى آخر قوله. (انتهى).

* * *

## اشجيرة المنى

قيل: كان رجل في البادية، وكانت عنده أمه، وأخته، وزوجته، فأحس الرجل من زوجته بأمر مريب، وأحب أن يستخبر الحقيقة بحكمة، فارتحل من منزله، ونزل حول وادٍ فيه شجر كبار من الطلح، وقال لنسائه: إننا نزلنا على اشجيرة المنى: هي ذيك الشجرة الكبيرة، فمن كانت لها حاجة منكن فلتذهب إليها بعد المغرب وتقف عندها وتناديها وتتمنى ما تريد، وسوف تعطى ما تتمناه.

ثم ذهب هو وعمل له مقعدًا في الشجرة، في وسطها الأعلى: من الحطب وأغصان الشجر، فلما كان بعد المغرب رقي هو في الشجرة وقعد فيه واختفى في أغصانها حتى لا يرى: فأتت أمه ووقفت أمام الشجرة وقالت: (يا اشجيرة المنى): فتكلم الرجل وسط الشجرة، كأنه الشجرة بصوت فيه غُنَّة (إِيْه) فقالت المرأة: هو من تمنى يجيه امناه؟ فيجيب هو عن الشجرة في كل مرة (إِيْه) قالت: أُوْلِدِي يزوجني راعي الغنم؟ ـ وكان عندهم رجل يرعى غنمهم بالأجرة ـ (إِيْه)، وأَعَيِّـيْ وهو وُدِّي؟ (إِيْه)، ويَغْصِبْنِي وَاتَغَيْصَبْ؟ يعني: كأني مغصوبة، (إِيْه). فذهبت.

ثم جاءت الأخت ووقفت أمام الشجرة وقالت: يا اشجيرة

المنى، (إيْه)، هو من تمنى يجيه امناه؟ (إيْه) أَخُوي يَسْلَمْ لِي؟ (إيْه) ويزوجني؟ (إيْه)، ويشري لي ثوب حمر؟ (إيْه)، ويُرْكِبْنِي على القعود الْعَفَرَ؟ (إيْه)، فذهبت.

ثم أتت الزوجة وتمنت ما في نفسها وذهبت، فظهر للرجل منها ما كان يظنه: فسرحها لأهلها.

فلما أصبح عرض على أمه أن يزوجها راعي الغنم عندهم؟ فأبت وتظاهرت بعدم الرغبة في الزواج: فعزم عليها وزوجها إياه، ثم اشترى لاخته ثوبًا أحمر، وزوجها حين أتاها خاطب، وحملها إلى زوجها على قعود عفر، وهو الأبيض وكانت نساء البدو تفضل ركوبها الجمل الأبيض على غيره تَتَيامَنُ به. (انتهى).

* * *

# ألفية نبطية على حروف المعجم

فيها آداب وحكم، وبعض ألفاظها ركيكة، سوف نتبعها بإيضاح وجيز إن شاء الله تعالى، قال:

ألف: أَوَلِّفْ مِنْ حَلا ما لاح لِي ... بيوت بهن للذاهنين ارباح
والبا: بديت بقولهن واعجبني ... وكنيت ما بالصدر ثم نْباح
والتا: ترى كِثِرْ كلامك يَمْلِهكْ ... والصمت به حكمه تصير شناح
والثا: ثبات العقل ميزان الفتى ... ترى الفتى إيلا خف عقله راح
والجيم: جر الشربينات الملا ... بالك تصير للشر جرار ملواح
والحا: إيلا حَلْ القضا من عاقل ... فافصل وتَرَّكْ قولة الإصلاح
والخا: خيار الرجال رجل عارف ... بادروب المراجل مجهد منصاح
والدال: دل النفس عن أوهماتها ... ترى أوهماتها ترث الافضاح
والذال: تذليل العدو معزة ... ترى العدو إيلا ارخيت معه إنساح
والرا: الرياسة هي عمود المرجله ... الليث ما ينطح بدون سلاح
والزا: زمانك إيلا عصا طاوع معه ... لا بد ما تجي الأمور فتاح
والسين: سرك لا تودعه النساء ... تصبح مثل مكسورة الجناح
والشين: شورك لا يفارق راسك ... تراه أولى لك من النَّصّاح
والصاد: صادق صديق ابوك وجدك
وباقي الملا يكفيك منه صفاح

والضـاد: ضـدك إيـلا ضحـك اضحـك معـه
لــو كــان قلبــك كــالصفــا الصفــاح

والطا: لا تطلب حاجة معدومة — خص إيـلا صـارت عنـد الشحـاح
والظا: ضيوفك إيلا لفوا رَحِّبْ بهم — وعجـل اقــراهــم فْمِيــرِكْ راح
والعين: عاون من ابلى بمظلمة — لـو بـالكـلام وصـر معـه نفـاح
والغين: غنم من عنى لك واكرامه — تـراه هـاقـي بـك هقـوة الفـلاح
والفـا: فـلا تـاطـا طـريـق شبهـة — ولا تمشي مع السفها ولا مِرْواح
والقـاف: قـل الحـق ولا تـدرا بـه — ولو كان على أقرب قريب صاح
والكاف: كف الشر عن قريبك — تــرا كفــه يــرث الاربـــاح
والام: لا بـد النفـوس مـن الفنـا — لا بـدهـا مـن قـابـض الارواح
والميم: مالك غير ما قسم الله لك — مكتـوب عليـك بنـاطـق الألـواح
والنـون: نيتـك التـي فـي ضـامـرك — انت تسرى وهي تقضب لك المصباح
والواو: وسيع الوجه بالك تقربه — تـرا وسيـع الـوجـه لـك فضـاح
والهـا: إيـلا هَـدَّيْت بـالـك تنثني — السيــف يحــزى للعــدو ذبــاح
واليا: يا حاضرين صلُّوا على النبـي — عــد الجــراد وعــد بــرق لاح

## الـمـعـانـي:

قوله: (للذاهنين) الذهن هو العقل، يعني الذين يحافظون على الأدب والعمل به، فالعمل به يسمى في هذا الوقت (التطبيق العملي) فيغنمون الشرف والسلامة.

قوله: إيلا حل القضا من عاقل: كان الناس غالبًا إذا حصل بينهم مشكل أحضروا أعيان الجماعة فساووا بينهم وأصلحوهم، فما رأوه

وقضوا به فهو المعتمد، فاترك الترويغ والمماطلة فإنك سوف تلزم به، وأعيان الجماعة: هم عقلاهم

الْمِلْوَاح: من الأعلام: خشبة طويلة يربط برأسها ثوب وتقام إلى فوق فَيُلَوِّحُون بها (يومئون بالثوب) أو تُلَوِّحْ به الريح لِيُرا في البر من بعيد.

قوله: صادق مَنْ لابوك وجدك: يعني صديقهم، وأما عدوهم فعدوك: كما في المثل... (عدو أبيك لا تصادقه).

قوله: (عَجِّلْ قْراهم فْمِيرِك راح): المير والميره: هو الطعام، كما في قوله تعالى (ونمير أهلنا): أي نأتي لهم بطعام: المعنى أنك إذا لفاك أضياف، لزمك القيام بضيافتهم، فإن رحبت بهم غنمت الجميل، وإلاّ فالخسارة حاصلة ولا جميل.

قوله: (نيتك ــ أنت تسري وهي تقضب لك المصباح): أي في الصباح. النية هي القصد، مثل الذي يسري بالليل في طريق بعيد فإذا أصبح وجدها في طريقه، فإن كانت نية خير وإصلاح جنيت ثمارها في أعمالك، وإن كان غير ذلك وجدت غبها كذلك، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، جزاءً وفاقًا.

قوله: ترا كِثِرْ كلامك يَمْلِهِك: الْمالِهْ ــ والْمالِغْ عند العامة هو الذي لا طعم له طيب: فهو يُذْهِب رونقك ومزيَّتك عند الناس.

قوله: تصير إشْناح: الشناح: هو الرجل طويل القامة، الطيب المحبوب. (انتهى).

* * *

# فكاهة الملوك

يستصحب بعض الملوك: بعض الأشخاص، أهل الضرافة والفكاهة، ليمازحوهم وقت الفراغ، لِيُرَوِّحوا نفوسهم من هموم الأعمال وثقل المسؤولية.

فكان عند الحجاج شاب يقال له الغلام، كان الحجاج يتحجج عليه ويتحداه فلم يستطع التغلب عليه.

سأله مرة: (أين وسط الأرض؟) فأجابه الغلام (تحت حافر بغلتك) فقال الحجاج: وما يدريك؟ فقال الغلام: قس الأرض شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا وسوف تعرف صدق كلامي، فأسكت الحجاج.

وسأله مرة: (كم عدد نجوم السماء؟) فقال الغلام: هي عدد شعر بغلتك، فقال الحجاج: وما يدريك؟ فقال الغلام: عد هذا وهذا وسوف تعرف صحة قولي، فأسكت الحجاج، إلى غير ذلك من فكهاته.

وكذلك الخليفة هارون الرشيد قيل: كان يصحبه شاب يقال له أبو نواس، كان ظريفًا سلس العشرة، فكان الخليفة يروح نفسه بظرافته وفكاهته، فله معه أخبار كثيرة.

فمرة أَوْعَزَ الخليفة إلى خدامه: أن يشتروا سيف أبي نواس،

فذهبوا إليه وراودوه على بيعه عليهم؟ فاعتذر بأنه يخشى أن يبطش به الخليفة إذا علم بذلك، فقالوا له تُبْقِي معك جفير السيف (الجراب) (الغماد) ولا يعلم الأمير بخلو داخله، فقال لا بأس: وباعه عليهم بثمن جيد، ثم أخذ عصا من جريد النخل فأدخله في غماد السيف ولف طرفه بخرقة، فلما أصبحوا وجلسوا حول الأمير على العادة، أمر الأمير برجل يحضر من السجن ثم أمر أبا نواس أن يقوم يقتله، ليظهر مكنون السيف، فقال أبو نواس: إنه مظلوم يا طويل العمر؟ فقال الأمير ليس هو مظلومًا إنه قد حكم بقتله، ولكن قم اقطع رأسه، فقام أبو نواس: ثم رفع يديه وبصره إلى السماء أمامهم وقال: اللَّهمَّ إن كان هو مظلومًا فاقلب سيفي جريدة، ومشع السيف من جرابه، ورفعه أمامهم جريدة: وقال انظروا أنه مظلوم، قد قلب الله سيفي جريدة.

ومرة أوعز الخليفة هارون الرشيد، إلى خدامه، أن يأتي كل واحد منهم معه ببيضة دجاجة إذا أتى الصباح، وأن لا يخبروا أبا نواس بذلك، يقول لعلنا نحصل منه على غرة فنغلبه، فلما أصبحوا وجلسوا حول الأمير، وكل واحد قد أخفى معه بيضة، بدأ الأمير بتنفيذ خطته، فقال: هل أنتم على استعداد لما نأمركم به، أو أنتم لا تبالون ولا تستعدون؟ ليقم كل واحد منكم ويضع مكانه بيضة، وإلاَّ فعلت بكم وفعلت، فقام كل واحد وإذا تحته بيضة، ولكن أبو نواس ليس معه بيضة: فرفع يديه وصَفَّقَ بها ثم أذّن أذان الديك، فقال له الأمير كيف فعلك هذا؟ فقال: هؤلاء دجاج وأنا ديكهم، لا يكن دجاج بلا ديك.

ومرة قال له الأمير: إتني بسالفة باردة، في ليلة باردة، وإلاَّ فعلت

بك وفعلت، وفي ذات ليلة باردة: أتى أبو نواس أثناء الليل، بعد أن نام الخليفة وهدىء الناس، فطرق باب القصر، وأظهر الانزعاج، وقال للبواب افتح افتح وأَيْقَظْ الأمير بسرعة: فقال البواب وماذا حدث؟ فجعل أبو نواس يستحث الخادم يوقظ الأمير بسرعة، على أن البلد عليها خطر، وأنه هو المسؤول عن ذلك إذا لم يستعجل الأمير، فخاف الخادم وانزعج فذهب يطرق الباب على الأمير، وأزعجه، فقام الخليفة يعدو: وماذا حدث في البلد يا أبا نواس؟ فقال أبو نواس: (هل أنت رأيت البصرة يا عم؟) قال الخليفة نعم، فقال أبو نواس، وأنا قد رأيتها، فقال هارون وتزعجنا هذا الإزعاج من أجل هذه الكلمة الباردة؟ فقال أبو نواس: أنت أمرت عليّ أن آ تي بسالفة باردة بليلة باردة، ولا أبرد من هذه السالفة وهذه الليلة.

ومرة كان الأمير يمشي في الشارع ومعه خدمه، في الصباح، في يوم شاتي (بارد) فلقي سَقًّا يحمل قربة الماء على ظهره، والماء يسرب منها على ثوبه ورجليه، فرحمه الأمير، وأراد أن يسبب له نفعًا من خدامه، فاستوقف السَّقَّا: وقال له: (أَحَدَ عَشَرَ أَمَا تكفي واحدًا؟) فقال السقا: إني (أَكِدُّ دينًا، وأوفي دينًا، وأَذُبُّ في بحر)، فسار الأمير، ثم التفت إلى السقا، وقال له: لا تبع رخيصًا: قال السقا: لا توصي حريصًا، فمضى الأمير حتى جلس في مجلسه، وقال لخدامه: ماذا قلنا للسقا وماذا قال لنا؟ فقالوا والله ما ندري يا طويل العمر: فقال: فما حضرتكم إذًا، ثم قال اذهبوا فأتوني بعلم ذلك وإلاَّ فعلت وفعلت، فذهبوا للسقا وتلطفوا له، وسألوه ماذا قال لك الأمير، وماذا قلت له؟

فقال هذا أمر بيني وبين الأمير لا أخبر به أحدًا، فقالوا أخبرنا ونعطيك ما تريد: فما زالوا يسترضونه ويزيدونه من الدراهم حتى رضي أن يخبرهم فأعطوه ما طلب فقال: أما قوله: (لماذا أحد عشر لا تكفي واحدًا؟): (معناه): أحد عشر شهرًا وأنت تعمل فيها، هلا توفر من محصولك فيها لهذا الشهر البارد وتَكْتَنْ فيه عن البرد: فأجبته بقولي: (أَكِدُّ دَينًا، وأوفي دَينًا، وأَذُبُّ في بحر) ومعناه: أني أكد: أي أتعب بالكد لأنفق على أولادي، بِرًا بهم، وهو دَيْن لي عليهم، كما أني أكد أيضًا، على أبـي وأمي أوفي دينهم عليَّ، وهو برهم بـي صغيرًا لأكافئهم كبيرًا، والفضل للأول، وقولي: وأَذُبُّ في بحر: هي الزوجة، قَيِّمة البيت، فكلما أتيت بشيء للبيت أخبرتني أنه قد نفد الشيء الآخر، هات ــ هات، كما تلقى شيئك في البحر، فهو لا يمتلىء ولا يرجع عليك، وقوله: لا تبع رخيصًا: معناه أن هؤلاء الرجال الخدم، سوف يأتونك يطلبون منك تخبرهم بحل هذا الغطو (اللغز) فلا تخبرهم إلاَّ بمقابل كثير لتستفيد منهم: فقلت لا توصي حريصًا: أعني: نعم فأنا حريص على ذلك إذا أذِنْتَ لي أنت. (انتهى).

* * *

# أبـو نواس والبرامكة

وأبـو نـواس أصلـه مـن البـرامكـة، وهـم وزراء الخليفـة (هـارون الرشيد) وسيرتهم وقصة قتلهم وهدم دارهم معروفة، لأنهم صاروا يتحببون إلى الناس بالكرم وقضاء الحوائج، فصار الناس يقصدونهم أكثر من قصدهم الخليفة، (ثم وُشْيَ بهم إلى الخليفة: أنهم يريدون الانقلاب عليه وأخذ الملك) فجمعهم وقتلهم كلهم في ساعة واحدة، وسبا أموالهم وهدم دارهم، فصارت مضرب المثل: (دار البرامكة) للمعدم بعد الوجود.

**الحاصل**: أن أبا نواس قبل ذلك، لما جاء للخليفة في بستانه وعنده وزيره البرمكي، وكان الخليفة قد أبصر ثمرة مرتفعة في شجرة: فاشتاق إلى أخذها، وقال للوزير إركب على متني أتكيء لك خذلي هذا العنقود، فوطيء الوزير البرمكي على متن الخليفة وأخذ العنقود، وإذا أبو نواس يدخل عليهما فكره أبو نواس: ركوب الوزير على متن الخليفة وأنكره، وفطن لشيء لم يفطنوا له، ثم قال للخليفة بعد ذلك، إني أطلب منك حاجة أيها الخليفة وأرجو أن تهبني إياها؟ فقال الخليفة وما هي؟ قال تكتب لي ورقة أني لست من البرامكة وأني بريء منهم؟ فقال الخليفة نعم لا مانع، فكتب له ورقة وختمها وأعطاه إياها،

فاحتفظ بها أبو نواس، فلما قتل البرامكة كلهم أتوا أبا نواس ليقتلوه معهم على أنه برمكي، فعرض عليهم ورقة أمير المؤمنين على أنه ليس برمكي: فخلوا سبيله. فسأل بعد ذلك: كيف علمت أن البرامكة سوف يجري عليهم مثل هذا الدمار فتبرأت منهم؟ فقال: لما رأيت البرمكي وطىء على متن الخليفة عرفت أنها نهايته، لأنه وصل إلى حد لا ينبغي له أن يصله. فكان ذلك. (انتهى).

* * *

# الحب يشعف القلب تشعيف

قيل: إن سُويلم العلي، سافر إلى بعض البلاد النائية، مع رفاقه، في طلب المعيشة، فلما أبطأ عن أهله، ظهر عليه أثر الْوَلَهْ إلى زوجته، لكن أحد رفاقه ليس من أهل العشق، ولم يحس بشيء من ذلك، فجعل يهزء بهذا ويعلق عليه، من أجل وَلَهِهِ إلى زوجته، فانبعثت قريحة سويلم بقصيدة يصف بها واقعه ويهجو لأمه، فقال:

قَفَّنْ بِنا شِيْبُ الغوارب مزاليف عن دار مجلى الثمان الرهاف
مستانسين ويزعجون الغطاريف وانا اتجلد كن ما بي خلاف
وانا خلافي لاجي بالسراجيف من هم مجمول عقبته خلافي
بيني وبينه يهرف الذيب ويقيف يزعج ثلاث اصوات عقب الهراف
من البعد بَذَّنه سهال هفاهيف وحيفانة منها أشهب الذيب حافي
ياما زمي من دونهم من حجاريف بيداء صحاصيح شعوف ومهافي
علمي بهم بالصيف واليوم جا الصيف
هذا شهرنا العام يا اللّه اتكافى
يا الله تْكافى شر فرقا المواليف ويا الله اتْكافي من سلوم متعافي
مِتْعافِي ما قَطْ خِوِّفْ ولا خِيف دَبُّوج مما ينقل الكرش وافي
بطنه كبير بطن ثور على سِيف تَقَذْرَفُوا يا جعلكم لِلزِّلافِي

مـا وَلَّعَنَّـهْ نـاقظـات الاطـاريـف نِجْل العيون مديرمات الاشافي

يحســب إن الحــب ضِحْــكُ وســواليــف

وتنحنــج مــن بيــن سمــر الغــدافــي

والحب يشعف قلب راعيه تشعيف تشعيف خيل القوم سُمْرَ الشعافي

**المعاني**: (شيب الغوارب) هي الإبل (الركائب) قد ابيضت بعض ظهورها من كثرة ما يحمل عليها وتركب.

(مجلى الثمان الرهاف): هي البنت الجميلة، ويعني بها زوجته، فَرِفاقُه مبسوطين ويغنون طربًا بالسفر، وهو يتجلد ويَتَصَبَّر لوَجْده إلى زوجته حتى لا يُعلم بحاله، ولكن مع البطيء ظهر عليه أثر الوله فعَلِمَ به رِفاقه، فحصلت السخرية به من أحدهم، فقام هو بهجوه، فبدء بوصف واقعه، وتباعد الديار به عن حبيبته، بما يفت جهد الذئب، مع صلابته وقطعه المسافات، وأنه دائمًا يهرف (يركض) يسرع، ومن عادة الذئب أنه إذا تطلب الغنم فأفلس منها، أو عجز عن تحصيل الماء ليشرب، أو عجز عن قطع المسافة لبعدها، فإنه يقف ويَزْعَجْ ثلاثة اصوات عِواءً محزنًا علامة الإفلاس، يهيض الضيقة عن نفسه.

والأرض البر (البيداء) تختلف أوضاعها، وصفتها، وأشكالها: فمنها السهل الواسعة، وهي الصحاصيح، ومنها الخشنة التي تحفي الأرجل، وحتى الذئب الأشهب القوي تحفيه، ومنها المرتفعات: وهي الشعوف والحجاريف، والمهافي هي المهابط المنخفضة.

أما الشعف: فهو يأتي على حالات...

وأصل الشعف: هو شعف (الرياح الأشياء) فإذا عصفت الريح

شعفت الرمال حفرًا ودفنًا، وتشعف البحر فتقلب فيه الأمواج، وتشعف بعض الأشجار وتكسره أو تقلعه، وإذا حصدوا الزرع (القمح) جمعوه كُدُوْسًا أكوامًا مضمودة، وضعوا فوقه شيئًا من الخشب أو الحجارة حتى لا تشعفه الريح إذا عصفت، حتى يقومون بدَوْسه (دَرْسُهُ وطَيابُه).

والشعفة هي أعلى الشيء: فشعفة الجبل أعلاه، وشعفة الجدار أعلاه، وشعفة سنام البعير هو شعر أسمر أعلى السنام، فالإبل المسمَّنة هي سُمْر الشعاف، (فإذا أغار القوم فوق الخيل وأخذوا الإبل) صاروا يطردونها طردًا يهربون بها عن أهلها، والإبل تخاف من الخيل حال الطرد، فَتَنْذَعِرْ فتشعفها الخيل شعفًا، فهذا قوله: (شَعْفَ الخيل سُمْرَ الشعاف)، فكذلك الحب يشعف قلب المحب تشعيفًا، مثل تشعيف الخيل (الإبل) حال النهب والطرد، ولكن الذي ما جرب شعف حب الحبيب (القلب) ما يعرفه: فاسمح له، لأن من جهل شيئًا أنكره.

وما وصف هذا الرجل حاله بحال الذئب إلاَّ أن الحال قد بلغت منه مبلغًا؛ ومشكلته أنه لا يمكنه الرجوع لأهله وحده، لأن الطريق مخوف، فلا بد من مجموعة رجال يتساعدون في الطريق ضد الحرامية (قطّاع الطرق)، فهو بانتظار ذلك.

والسراجيف: هي صندوق القلب داخل الضلوع. (انتهى).

* * *

## غرقة السلمية عام ١٣٥١هـ

السلِمِيَّة: بلدة قديمة، من بلدان اليمامة جنوبـي نجد (الخرج)، وكان موضعها منخفظ، ويمرُّ حولها وادٍ كبير، يأتي من فروع بعيدة، وينطلق من هذا الوادي شعبة تفيض على هذا الموضع. وحين أرادوا البناء فيها قاموا، وردموا هذه الشعبة وسدوها بالتراب والخرسانة، فثبت السد ومنع تطرق السيل إليهم، فبنوا وسكنوا، فمضا الأولون، وخلفهم الآخرون، وهم آمنون، ثم ظهرت السيارات، وصارت تمر من فوق هذا السد، فانحفر وانخرم، ولكنهم لم يفطنوا له.

وذات ليلة خرج أحدهم، يتطلب بعيره أو غيره من بعض شؤونه حول هذا السد، فأبصر بياضًا هناك في نور القمر، وكان الرجل حازمًا، فأنكره، وذهب إليه ينظر ما هو؟ وإذا هو ماء سيل: قد انطلق عليهم من هذا الوادي، حيث أتاه السيل من الفروع البعيدة، لم يعلموا به، فالرجل أبصر الماء يجري وله صلصلة، وزبده من فوق الشجر، فأتى إلى بيته مسرعًا، وأخذ البندقية ورمى رمية قوية أو رميتين، علامة التفزيع، ففزع الناس إليه من نومهم، ثبت ــ ثبت، ماذا ــ ماذا؟ فقال: اهربوا بأهلكم وأولادكم فقد أتاكم الغرق، هذا الوادي انفجر سده عليكم، فَتَحَتْه عليكم السيارات وأنتم غافلون.

ففزع الناس، وتنادوا، وصاحوا بالفزع لبعضهم، فحملوا أولادهم وخرجوا بأنفسهم، آخرهم والماء تحت رجليه، ولم يمكنهم أخذ شيء من أموالهم وأثاثهم ومواشيهم، وكانت البيوت من الطين، فانهدمت على ما فيها وتساوت مع بعضها، فلما غاض الماء ونشفت الأرض بعد مدة، أتوا ينظرون، يمكن أن هذا موضع بيت فلان، ويمكن هذا موضع بيت فلان.

أخبرني بذلك، رجل كان يعمل أول عمره في تلك البلاد، وقد عرف القصة. (انتهى).

* * *

## تخاصم الشاهي والقهوة البن

للأديب: محمد الفوزان، قال:

تخاصم الشاهي وبُن اليماني وكل تصدر لازمات المعاني
طال النزاع وجنني في مكاني وقالن افصل بيننا يا حِجا الجار
كلن بزعمه يدعى كثرة الطيب دلّى يبين في قبيله عذاريب
رَدَّنْ لِضربٍ بالْقِنِي والمشاعيب يا الله دخيلك عن تصاليط الاقدار
زاد الغثا في كثرة القول والقيل وش موجبه لولا إن هذي غرابيل
تفازعن باسيوف هندٍ مصاقيل حرب تهيّابين الاثنين ما صار
نَطَّنْ بروِس العاليات المشاريف كل برايه غاية البال والكيف
قالن لي افصل بيننا واحذر الحيف
وإن حفت يجدعك الولي باسفل النار
قلت انحرن غيري وربي معافين
هذي دعاوِ حكمه اليوم خافين
ما عاد عندي فرق للزين والشين
الفرق يبغي واحد عنده افكار
تلقن حر واعي القلب عرَّف
قرم يميّز بين شكلات الاصناف

مــاهــوب مثلــي كــل مــاجــاه لهــاف
مــا يميِّــز الصــافــي مــن اللــي بــه اكــدار
تلقـــن حـــر يهلـــك البـــن والهيـــل
عنـــده ادلال متعبـــات مشـــاكيـــل
مــن كثــر مــا ينطــح وجيــه الــرجــاجيــل
يُحســب وينســب مــن هــل الصنــف والكــار
قالن رضينا الحق للفصل جيناك    لو ما نعرفك بالنصف ما نصيناك
حضر حواسيسك وجمع من ارياك    وإن قلت حق بينه سر واجهار
قلت احضرن وكل يقابل بدعواه    نشوف من هو راعي الوجه والجاه
نفك مشكل وامرنا اليوم لله    والله لنا التوفيق والحق يختار
قامت اعريب البن جابت دعاوي    تقول حنا عامرين القهاوي
حنا الذي كل علينا يلاوي    وجه الرجال ويمنا كل مسيار
وإن جيت من درب على أحد وطبيت    لو حط شاهي قلت أنا ما تقهويت
لزمّا تذمه بالردى ساع ما اقفيت    إيلا ما حمس بن على واهج النار
أنا الذي إيلا جيت دايخ وتعبان    من فوق ما تقطع رهاريه دِيّان
تِقْعِد حجاجك حمستي يابن فوزان
تنجال عن كبدك وهيمات الامرار
انا الذي إيلا قلت تفضل نقهويك
تخبرني بالبيت ذخر لعانيك
تذكر بخير كل حل طاريك
وإن سولفوا عدوك من عرض الاخيار

أهـل القهـاوي هـم خصـايـص مـن النـاس

أهـل الشـرف والعـز مـع قـوة البـأس

حـاشـوا جميـع الخيـر وكـل نـومـاس

يـرزقهـم اللـي يـرزق الطيـر لا طـار

واليـوم بـاب الحـوش محبـراه مغلـوق

إيـلا طقـه الطـواف مـا هـوب مـرزوق

إلا بـرزق صبـه المعتلـى فـوق    يظهـر ولـو دونـه ثمـانيـن سـوكـار

والبـاب الآخـر بـه ثلاثـة مجـاري    إيلا خَدَّر المشفوح بعض الغواري

قـام إيتلفـت كـن عنـده قمـاري    خَطْـرٍ يخلـى بـالقـواتيـل نِطَّـار

يخاف من عجل على الناس درّاب    يـأتيـه بـالغِرّات مـا سكـر البـاب

زَوَّدَ المجـاري حـط قـوة اسبـاب    كنه على خزنات بنك بالامصار

الشاهي اللي للملا صار غربال    فيه الخسارة: ضيعة الوقت والمال

تغيـرت بـه الطبـايـع والاحـوال    كل على شانه ترك حشمة الجار

دامـه مـرْكَـب فـراعيـه حـرّب    . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .    حرّم على من طَقْ ما يدخل الدار

مـن صَفَّنِـي لـه مـا قـال الانصـاف    حاف ظلم نفسه ولا هوب عَرَّف

يصفنـي للـي نـوا النـاس بـاتـلاف    ما فيه غير البول في برد الأفجار

هو مصرفه حامي وانا مصرفي دون    لـو سبنـي كـل الخـلايـق يعيـون

اعرض جوابي عند ناس يعرفون    يُفَهّمـونـك كـان مـا عنـدك افكـار

يشريه هين الناس والقرم يشرين    يدري بفرقي عنه حتى البعارين

ابرك منه والله ولا العشر عشرين    لو حمستي حَرْقِه وابهاري بمسمار

تُبْنىٰ من أجلي مُشَكَّلات القهاوي ... مـا هـي تبنـى للـورق والشهـاوي

أنـا الأميـره والـورق لـي افـداوي ... والهيـل يَبْـرِلـي وزيـر لـلاشـوار

خلصت من دعواي ما قلت انا زور ... كان أنت منصف يا محمد ومبرور

قـل الحـق ولا تكتـم النـور ... الحـق مُـرْ ويَجْمُضُـه كـل صبـار

قام الشَّكِرْ والشاهي برمح جميع ... وقـالـن هـذي هـروج كلـه تضيـع

حنـا علـى المخلـوق شـق وسيـع ... كِـنْ الـذي مـاذاقنـا الصبـح بـه زار

القهـوة اللـي بكـل حـال ذميمـه ... بـدعـة يـا محمـد ولا هـي قـديمـه

مجالسه ما به إلاَّ الغش والنميمه ... وابن آدم ما به جلاده على النار

كـلٌ عليـه اسمـه دليـل يـذكّـر ... أنا على اسمي يوم سُمِّيْت سكر

وهي على اسمه مثل بول المهَطَّرْ ... كـود بقـدوع وتنبلـغ كـره واجبـار

خطـو الهنـوف اللـي ربـايـا مـدينـه ... إيـلا مـا لقـت شـيء تحطـه رهينـه

لَـزْمّـا يْخَـدَّرْ لـو تبيـع العجينـه ... وإلا تقـول لـرجلهـا هـات بـاكثـار

(حكم الشاعر بين الاثنين) :

الشـاهـي اللـي معـه كثـر الاتبـاع ... العِجْز والخِفْرات ودقاق الاصباع

وانـا اشهـد إنـي مـع العجـز فـزاع ... أقـول هـذا للمـلا سـر واجهـار

والبُـنْ لِمَـنْ لاح بعـارضـه شيـب ... أهل المعاني ناطحين المواجيب

إيلا لفىٰ ركبٌ على شُمَّخ النِّيب ... مـا وافـوهـم إلا بـابهـار وكتـار

صـدر مـن عنـدنـا راح زعـلان ... يقـول مـا سـريتنـي يـابـن فـوزان

حطيتنـي مطلـوب عجـز ورِضْعـان ... الحـق مـا يخفـاك ميـر أنـت عيّـار

اغتـاظ لـه مـدة وأخـذ قـدر عـامـا ... وبـدا يمـر ولا يـرد السـلامـا

رحنـا وارضينـاه عقـب الصيـامـا ... قبـل الضحيـة يـوم هلـن الافطـار

انتهت: وإليك شرح بعض ألفاظها.

قوله: (إيلا خَدَّر المشفوح: بعض الغواري)، تخدير الشاهي بالغوري (الابريق) هو تركه بعد الغلي بضع دقائق، حتى يظهر مفعول الورق، فيقال خَدَرْ، وكانوا لا يغلون السكر إنما يضعونه بعد، ويحركونه بالمحراك، أحسن من غَلْيُه. والقواتيل: جمع قاتولة، وهي مخبىء فوق الباب يكشفون من خلالها ما حول الباب والبيت، قوله: نطَّار أي رواصيد، والمِجارِي هنا: هي سواكير الباب (المغاليق) واحدها مِجْرا، (والمهَطَّر) صِفَةُ ذَم لجمع الإبل كبار السن الضعاف، واحدها هطير وهطيرة، وفيه معنى الدعاء عليها بالهطر (الهلاك) (وبول الإبل يشرب مع حليبها حارًا من ضرعها دواء للجسم معروف (عن ضعف الجهد والهزال) وشُمّخ النِّيب: هي الإبل، وإذا كبر الجمل ظهر له أنياب طوال بجوانب فمه، والكتار: هو رائحة حساحيس رأس الذبيحة للأضياف، والرضعان: هم الصبيان صغار وكبار.

قوله: (خزنات بنك بالامصار) لأنه لم يكن يوجد البنك إذاك في نجد.

قوله: مشكَّلات القهاوي: يعني المجالس تضخم وتجمل من أجل الجلوس للقهوة. (انتهى).

* * *

# ادِّخار القوت في القديم

كان سلمان الفارسي رضي الله عنه، يدّخر قُوت السنة لأهله ويقول: إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت (ذكره في ترجمته: في صفة الصفوة)، وهكذا كان عامة الناس في القديم، يهتمون ويركزون على تحصيل القوت للسنة كلها. وعامة القوت عندهم هو: التمر والعيش، (القمح، والشعير، والذرة، والدخن، والقرع الدبا، ونحو ذلك، أما غير التمر والعيش فلا يهتمون له. ويحرصون على اشتراء القوت في موسمه، فالتمر في وقت صرام النخل، والعيش القمح: بالصيف وقت حصاد الزرع وطيابه، حيث يتوفر وجودهما، فالذي يستطيع شراء القوت يدّخره يعدونه غنيًا، وبعضهم يستدين القوت أو بعضه يدخره ولو دَيْنًا، لا سيما إذا أراد أن يسافر ويتغرّب عن أهله، لأنه يأتي بعض الأوقات: تنفد كميات الطعام المباع في السوق أواخر الوقت، ولم يكن موجودًا هذا الإزدهار الاقتصادي، في الماضي، بل ربما لا يجد ما يشتريه، أو تزيد أسعاره، أو يأتيهم وقت لا يجدون ما يشترون به. حتى لو كان هو في الغربة فإنه يرسل لأهله فلوسًا إذا جاء موسم التمر أو العيش، يشترون لهم قوتًا يدخرونه. فإذا حاز قوت سنته لأهله استراح خاطره واطمأنت نفسه، ويسمونه (سُقْمَه) والتسقيم

عندهم بمعنى التموين، (فلان أدخل له سُقْمَه) أي طعامًا يمون أهله السنة المقبلة. وسائر البيوت يكفيهم نحو: مائتين إلى ثلاثمائة كيلو جرام تمرًا، ومثله قمحًا، إلى دور السنة كلها، وقد تقدم ذكر كيفية تعبئة التمر وضمده جيدًا، حتى لا يفسد إذا بقي منه شيء للسنة الثانية أو الثالثة، ويضعون العيش في الشمس مدة لييبس جيدًا حتى لا ينخشه السوس. (انتهى). والحمد لله رب العالمين.

* * *

## لباس النساء المشروع

قد أولعت بعض النساء في هذا الزمان، بلبس الأبيض تقليدًا للخوجات، وقد كانت النساء لا يسمح لهن بلبس الأبيض: فكان الشيخ محمد بن حسين (مؤلف كتاب الزوايد) لا يسمح لنسائه أن تجمل أطراف الثوب بالأبيض، لا كراميش ولا نحوه، حتى ولا الأطفال الإناث، يقول: لأن الأبيض من خصائص الرجال، والنهي عام، وإِثْمُهُم على الكبار، لقوله ﷺ: (لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل) حديث حسن: رواه أبو داود.

والآن: أنا سئلت أحد علماء الفقه: عن لبس النساء الأبيض؟ فقال: (لباس النساء المشروع هو ما يخالف لباس الرجال: فإن كان شعار الرجال الأبيض حرم على النساء لبسه، وإذا كان شعار الرجال غير الأبيض جاز للنساء لبسه)، انتهى كلامه رحمه الله.

ومعلوم أن شعار الرجال ولباسهم هو الأبيض، وأن لباس النساء ملوَّن غير الأبيض (فاتَّقِينَ الله يا معشر النساء أن تَقَعْنَ في لعنة الله، فإن ارتكاب المنهي عنه يوجب اللعنة، واللعنة توجب النار، أعاذنا الله منها).

أما من جهة النظر: فإن بهاء المرأة ورَوْنَقَها وقابلية منظرها: هو في لبسها الملوَّن، وهو ما يميل إلى الحمرة والدهمة والسواد ونحوه.

أما الأبيض للمرأة، فإنه ينزع بهاءها لقربها من مشابهة الرجل، وحتى اللحاف الأبيض ينزع بهاءها في الفراش، وهذا يعرفه كل أحد، ولكن النفوس تميل إلى ما منعت منه، كما في الأثر: (لو ينهى الناس عن موضع خُفٍّ في الأرض ازدحموا عليه، وفي حديث ابن عمر: قال ﷺ: ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث): رواه الإمام أحمد والنسائي، وكذلك: لا يجوز للرجل أن يلبس ما يشابه لباس النساء للحديث المتقدم وغيره، قال شاعر:

| | |
|---|---|
| الـرجـل فضلـه العـزيـز القـديـر | علـى العـذارى لابسـات اللثـام |
| ملبـوسـه الأبيـض لبـاس شهيـر | ولـه لحيـة تشْـدا جنـاح القطـامي |
| يـرشهـا فـي الطيـب لـو هـو فقيـر | ما يجدعه مع شعرته في الدرام |
| إيـلا جـاك يـوم شـره مستطيـر | مـا ينفـع العـاصيـن كبـر الأسـامي |

(انتهى).

* * *

## تابع: عجيبة في الرزق

أقبل جماعة من رجال عُقيل، من بلاد الشام أو العراق، معهم بضائع على الإبل، وكان أحدهم يقال له (ابن سَمْحان)، وكان كثير التوكّل على الله سبحانه، فإذا قيل: ضاع جمل فلان، قال: ما يُدري وين الخيرة، وإذا قيل: مرض فلان قال: ما يدري وين الصالح، وإذا قيل: ضاعت المزودة وفيها فلوس، أو قيل خسر فلان في بضاعته، أو كذا وكذا، فيقول: ما نعلم أين الخيرة، ما يُدري وش الصالح فيه، لعله يكون خيرًا، وهكذا: ولكن الجماعة غبطوه على هذا اليَقين والتوكّل، وأرادوا اختباره هل هذا توكّل على الله صحيح، أو هو عجز وضعف باسم التوكّل؟

وكان له في تلك القافلة عشرة جمال، وعليها له أحمال بضائع، فاتفقوا على تغييبها عنه وقتًا (ما) بدعوى أنها ضاعت بأحمالها، لينظروا ماذا يصنع إذًا؟ وكانوا في أثناء الطريق، وكان المعازيب يركبون على ركائبهم يسيرون أمام الحملات وحولها، ليس مع أحدهم إلاّ أواني القهوة. فالجماعة أمروا الرُّعات ورجال الحملات: أن يَعْقِلوا إبل ابن سمحان آخر النهار قبل وصولهم مكان المعشّى، ويُنْزلوا عنها أحمالها ويتركوها مكانها، ثم يزعمون له أنها ضاعت: لينظروا ماذا يصنع؟ ففعلوا ذلك وعقلوها قبل وصولهم المعازيب.

فالمعازين لما وصلوا المكان الصالح للمعشَّى وضِمْنُهُم (ابن سمحان) نزلوا وأوقدوا النار للقهوة، وعلى إثرهم الرعات والحملات، فأخبروا أن إبل ابن سمحان ضاعت بأحمالها، فاضطرب المعازيب على الرعات وأظهروا الغضب عليهم، إيهامًا لابن سمحان ليثيروا كامنه في ماله؟ ولكن ابن سمحان لم يفزعه ذلك، ولم يتمزمز، بل ثبت مطمئنًا يقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، إيه ما ندري وين الصالح فيه، وجعل يدعو بدعاء الذاهبة، والجماعة استمروا يتلاومون وماذا يصنعون في تطلبها؟ ليؤسفوه، لكنه استمر يسترجع مطمئنًا يقول: أللّه يريد بنا خير، ما نعلم أين الصالح، فباتوا ليلتهم في مكانهم على ذلك، فلما كان أثناء الليل: صادفة الحال بالقدر: إذ يمر عليهم قوم كثيرون غزات محاربون، قد سروا ليلهم فدهموهم واستولوا عليهم، إذ ليس لهم يدان بقتالهم فأخذوا جميع ما معهم إلاَّ إبل ابن سمحان وبضائعه سَلِمَتْ معقولة له هناك لم يعلم بها القوم. (انتهى).

* * *

## إعتماد الإمام عبد العزيز: أحكام الشرع

حضـر رجـل فـي سـوق الإبـل، ومعـه بعيـر عليـه وَسْـمُ الشيـوخ (حكومة عبد العزيز)، فمسكه خادم الأمير، وذهب به للأمير، وقال: إن هذا الرجل معه بعير عليه وسم الشيوخ، فهو من إبلكم. فقال الأمير للرجل: سلم لنا البعير؟ فأبـى الرجل وقال: بل هو بعيري: فأنا أريد حكم الشرع؟ فكتب الأمير بالقضية مع البريد للإمام عبد العزيز بن سعود يخبره بالواقع؟ فكتب له الإمام بالجواب، أن خاصموه بالبعير لدى القاضي. فأمر الأمير وكيله أن يذهب مع الرجل يخاصمه، فادّعا الوكيل عند القاضي بأن البعير من بعارين الشيوخ، حسب الوسم المعروف. فقال الرجل: بل هو بعيري أنا. فقال القاضي للوكيل: أعطوه بعيره، فأبـى وكيل الأمير قائلاً: إن الإمام أمرنا نخاصمه شرعًا، والآن وسمه يثبت ملكية الشيوخ عليه.

فقال القاضي للخادم: (الله يهديك، الإمام ما هوب يبغيكم تأخذون بعير الفقير وتدخلونه مع إبله، بل هو يعطي الفقراء. ولكنه يبـي يعلمكم أنه هو يخضع لحكم الشرع ويرجع إليه عند الاختلاف. فتـركـوا لـه بعيـره، وأعطـوه بـه ورقـة ملكيـة، حسـب أمـر القـاضـي. رحمهم الله. (انتهى).

* * *

# النفخ بالصور للقيامة

قد أورد الحافظ عماد الدين (ابن كثير) رحمه الله تعالى، في تفسيره: سورة الأنعام: على قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ٧٣]، حديث النفخ بالصور، وهو حديث طويل عظيم كأنك تشاهد القيامة رأي عين، ننقله بلفظه لا نزيد عليه ولا نَنْقص منه، لما فيه من العِبر والأهوال التي نحن عنها غافلون.

فقال: قال ابن جرير رحمه الله: والصواب عندنا ما تظاهرت به الأخبار، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «إن إسرافيل قد الْتَقَمَ الصور، وحني جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ» رواه مسلم في صحيحه، وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا سليمان التيمي، عن أسلم العِجْلِي، عن بشر بن شِغاف، عن عبد الله بن عمرو قال: قال أعرابي يا رسول الله ما الصور؟ قال: «قرن ينفخ فيه».

وقد روينا حديث الصور بطوله من طريق الحافظ ابن القاسم الطبراني، في كتابه المطولات، قال: حدثنا أحمد بن الحسن المقري الأيلي، حدثنا أبو عاصم النبيل، حدثنا إسماعيل بن رافع، عن

محمد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبـي هريرة رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه، فقال: «إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض، خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه، شاخصًا بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر» قلت: يا رسول الله وما الصور؟ قال: «القرن» قلت: كيف هو؟ قال: «عظيم والذي بعثني بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السموات والأرض، ينفخ فيه ثلاث نفخات: النفخة الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ فينفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات والأرض إلاَّ من شاء الله، ويأمره فيطيلها ويديمها ولا يفتر، وهي كقول الله: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ ﴾ [ص/ ١٥]، فيسير الجبال، فتمر مَرَّ السحاب فتكون سرابًا، ثم ترتج الأرض بأهلها رجًا، فتكون كالسفينة المرمية في البحر، تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلّق في العرش ترجرجه الرياح، وهو الذي يقول: ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ [النازعات/ ٦ ــ ٨]، فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع، حتى تأتي الأقطار فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها، فترجع. ويولي الناس مدبرين، ما لهم من أمر الله من عاصم، ينادي بعضهم بعضًا، وهو الذي يقول الله تعالى: ﴿ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [غافر/ ٣٢].

فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض، مـن قطر إلى قطر، فرأوا أمرًا عظيمًا لم يروا مثله، وأخذهم لذلك مـن الكرب والهول

ما الله به عليم، ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل، ثم انشقت السماء، فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها» قال رسول الله ﷺ: «الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك» قال أبو هريرة: يا رسول الله من استثنى الله عز وجل حين يقول: ﴿فَفَزِعَ﴾ [النمل/ ٨٧]؟ قال: «أولئك الشهداء» وإنما يصل الفزع إلى الأحياء، وهم أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه ــ قال ــ وهو الذي يقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج/ ١ ــ ٢].

فيكونون في ذلك العذاب ما شاء الله إلاّ أنه يطول، ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق، فينفخ نفخة الصعق، فيصعق أهل السموات والأرض، إلاّ من شاء الله، فإذا هم قد خمدوا، وجاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل، فيقول: يا رب قد مات أهل السموات والأرض، إلاّ من شئت، فيقول الله وهو أعلم بمن بقي؛ فمن بقي؟ فيقول: يا رب بقيتَ أنت الحي الذي لا تموت، وبقيتْ حملة العرش، وبقي جبريل وميكائيل، وبقيت أنا، فيقول الله عز وجل: ليمت جبريل وميكائيل فينطق الله العرش، فيقول يا رب يموت جبريل وميكائيل، فيقول اسكت، فإني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي، فيموتان، ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار، فيقول: يا رب: قد مات جبريل وميكائيل، فيقول الله وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول: بقيتَ

أنت الحي الذي لا تموت، وبقيتْ حملة عرشك، وبقيت أنا، فيقول الله: لتمت حملة العرش فتموت، ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا رب قد مات حملة عرشك، فيقول الله وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول: يا رب بقيتَ أنت الحي الذي لا تموت، وبقيت أنا، فيقول الله: أنت خلق من خلقي، خلقتك لما رأيت فمت، فيموت، فإذا لم يبقَ إلاّ الله، الواحد القهّار الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، كان آخرًا كما كان أولاً، طوى السموات والأرض، طي السجل للكتب، ثم دحاهما ثم يلقفهما ثلاث مرات، ثم يقول: أنا الجبار أنا الجبار أنا الجبار ثلاثًا، ثم هتف بصوته ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر/ ١٦]، ثلاث مرات، فلا يجيبه أحد، ثم يقول لنفسه ﴿ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾، يقول الله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم/ ٤٨]، فيبسطهما ويسطحهما، ثم يمدهما مدّ الأديم العكاظي ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه/ ١٠٧].

ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة، فإذا هم في هذه الأرض المبدلة، مثل ما كانوا فيها من الأولى، من كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها، ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يومًا، حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعًا ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث، أو كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت، قال الله عز وجل: ليحيي حملة عرشي فيحيون، ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه، ثم يقول: ليحيي جبريل

وميكائيل، فيحييان ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نورًا، وأرواح الكافرين ظلمة، فيقبضها جميعًا، ثم يلقيها في الصور، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث، فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد، فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد، كما يمشي السم في اللديغ، ثم تنشق الأرض عنهم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون سراعًا إلى ربكم تنسلون، ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر/٨]، حفاة عراة غلفًا غرلاً، فتقفون موقفًا واحدًا مقداره سبعون عامًا لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع، ثم تدمعون دمًا وتعرقون، حتى يلجمكم العرق أو يبلغ الذقان، وتقولون: من يشفع لنا إلى ربنا فيقضي بيننا، فتقولون: من أحق بذلك من أبيكم آدم خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وكلمه قبلاً، فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه فيأبى، ويقول ما أنا بصاحب ذلك، فيستقرئون الأنبياء نبيًّا نبيًّا، كلما جاؤوا نبيًّا أبى عليهم ـ قال رسول الله ﷺ حتى يأتوني فأنطلق إلى الفحص، فأخرّ ساجدًا. قال أبو هريرة يا رسول الله وما الفحص؟ قال ـ قدام العرش، حتى يبعث الله إليَّ ملكًا فيأخذ بعضدي ويرفعني فيقول لي: يا محمد، فأقول: نعم يا رب، فيقول الله عز وجل: ما شأنك؟ وهو أعلم ـ فأقول يا رب وعدتني الشفاعة، فشفعني في خلقك فاقض بينهم، قال الله: قد شفعتك، أنا آتيكم أقضي بينكم ـ قال رسول الله ﷺ ـ فأرجع فأقف مع

الناس، فبينما نحن وقوف، إذ سمعنا من السماء حسًّا شديدًا، فهالنا فينزل أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهن: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا. وهو آتٍ، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلي من نزل من الملائكة، وبمثلي من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم. وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا. وهو آتٍ، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى ينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة، فيحمل عرشه يومئذٍ، ثمانية ــ وهم اليوم أربعة ــ أقدامهم في تخوّم الأرض السفلى، والأرض والسموات إلى حجزهم، والعرش على مناكبهم، ولهم زَجَلٌ في تسبيحهم يقولون: سبحان ذي العرش والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق، ولا يموت، سبوح قدوس قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح، سبحان ربنا الأعلى الذي يميت الخلائق ولا يموت. فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه ثم يهتف بصوته فيقول: يا معشر الجن والإنس، إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا، أسمع قولكم وأبصر أعمالكم، فأنصتوا إليّ فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلاَّ نفسه، ثم يأمر الله جهنم. فيخرج منها عنق ساطع مظلم، ثم يقول: ﴿ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا

صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ۝٦٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٦٣﴾ [يس/ ٦٠ ــ ٦٣]، أو ــ بها تكذبون ــ شك أبو عاصم، ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٩﴾ [يس/ ٥٩]، فيميّز الله الناس وتجثو الأمم. يقول الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٨﴾ [الجاثية/ ٢٨]. .

فيقضي الله عز وجل بين خلقه إلاَّ الثقلين الجن والإنس، فيقضي بين الوحوش والبهائم، حتى إنه ليقضي للجماء من ذات القرن، فإذا فرغ من ذلك، فلم تبقَ تبعة عند واحدة للأخرى، قال الله لها: كوني ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ۝٤٠﴾ [النبأ/ ٤٠]، ثم يقضي الله بين العباد، فكان أول ما يقضي فيه الدماء، ويأتي كل قتيل في سبيل الله، ويأمر الله عز وجل كل من قتل، فيحمل رأسه تشخب أوداجه، فيقول: يا رب فيم قتلني هذا؟ فيقول ــ وهو أعلم ــ فيم قتلتهم؟ فيقول: قتلتهم لتكون العزة لك، فيقول الله له: صدقت فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس، ثم تمر به الملائكة إلى الجنة، ثم يأتي كل من قتل على غير ذلك يحمل رأسه وتشخب أوداجه، فيقول: يا رب فيم قتلني هذا؟ فيقول ــ وهو أعلم ــ لم قتلتهم؟ فيقول: يا رب قتلتهم لتكون العزة لي، فيقول: تعست، ثم لا تبقى نفس قتلها إلاَّ قتل بها، ولا مظلمة ظلمها إلاَّ أخذ بها، وكان في مشيئة الله إن شاء عذّبه وإن شاء رحمه، ثم يقضي الله تعالى بين من بقي من خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلاَّ أخذها الله للمظلوم من الظالم، حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء، فإذا فرغ الله من

ذلك، نادى منادٍ يسمع الخلائق كلهم: ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد من دون الله، إلاَّ مثلت له آلهته بين يديه، ويجعل يومئذٍ ملك من الملائكة على صورة عزير، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى بن مريم. ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى، ثم قادتهم آلهتهم إلى النار، وهو الذي يقول: ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٩٩].

فإذا لم يبقَ إلاَّ المؤمنون، فيهم المنافقون، جاءهم الله فيما شاء من هيئته فقال: يا أيها الناس، ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون، فيقولون: والله ما لنا إلٰه إلاَّ الله، وما كنّا نعبد غيره، فينصرف عنهم، وهو الله الذي يأتيهم، فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يأتيهم، فيقول: يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون، فيقولون: والله ما لنا إلٰه إلاَّ الله، وما كنّا نعبد غيره، فيكشف لهم عن ساقه، ويتجلى لهم من عظمته، ما يعرفون أنه ربهم فيخرون للأذقان سجدًا على وجوههم، ويخرّ كل منافق على قفاه، ويجعل الله أصلابهم كصياصي البقر، ثم يأذن الله لهم فيرفعون ويضرب الله الصراط بين ظهراني جهنم، كحد الشفرة أو كحد السيف، عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان، دونه جسر دحض مزلة، فيمرون كطرف العين أو كلمح البرق، أو كمر الريح أو كجياد الخيل، أو كجياد الركاب، أو كجياد الرجال، فناج سالم، وناج مخدوش ومكردس على وجهه في جهنم، فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة، قالوا: من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة؟ فيقولون: من أحق بذلك من أبيكم آدم عليه السلام، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلّمه قبلاً، فيأتون آدم فيطلب ذلك

إليه فيذكر ذنبًا ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ولكن عليكم بنوح فإنه أول رسل الله، فيؤتى نوح فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبًا ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ويقول: عليكم بإبراهيم فإن الله اتخذه خليلاً، فيؤتى إبراهيم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبًا ويقول: ما أنا بصاحب ذلك ويقول: عليكم بموسى فإن الله قرّبه نجيًا وكلّمه وأنزل عليه التوراة. فيؤتى موسى فيطلب ذلك إليه، فيذكر ذنبًا ويقول: لست بصاحب ذلك، ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى ابن مريم، فيؤتى عيسى ابن مريم فيطلب ذلك إليه، فيقول: «ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد» قال رسول الله ﷺ: «فيأتوني ولِيْ عند ربي ثلاث شفاعات وعدنيهن، فأنطلق فآتي الجنة، فآخذ بحلقة الباب فأستفتح، فيفتح لي فأحيا ويرحب بي، فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي خررت ساجدًا، فيأذن الله لي من تحميده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه، ثم يقول: ارفع رأسك يا محمد واشفع تشفع، وسل تعطه، فإذا رفعت رأسي يقول الله ــ وهو أعلم ــ: ما شأنك؟ فأقول: يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة فيدخلون الجنة، فيقول الله: قد شفعتك وقد أذنت لهم في دخول الجنة» وكان رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده، ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم، من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل كل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة، سبعين مما ينشىء الله عز وجل، وثنتين آدميتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله في الدنيا فيدخل على الأولى في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلّل باللؤلؤ عليها سبعون زوجًا من سندس واستبرق، ثم إنه يضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من

صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت، كبدها له مرآة وكبده لها مرآة. فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله، ما يأتيها من مرة إلاَّ وجدها عذراء، ما يفتر ذكره وما تشتكي قبلها، فبينا هو كذلك إذ نودي إنّا قد عرفنا أنك لا تَمل ولا تُمل، إلاَّ أنه لا مني ولا منية إلاَّ أن لك أزواجًا غيرها، فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة، كلما أتى واحدة قالت له: والله ما أرى في الجنة شيئًا أحسن منك، ولا في الجنة شيء أحب إليّ منك. وإذا وقع أهل النار في النار، وقع فيها خلق من خلق ربك، أوبقتهم أعمالهم، فمنهم من تأخذه النار قدميه لا تجاوز ذلك، منهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حِقْوَيه، ومنهم من تأخذ جسده كله إلاَّ وجهه، حرَّم الله صورته عليها» قال رسول الله ﷺ: «فأقول يا رب شفعني فيمن وقع في النار من أمتي، فيقول: أخرجوا من عرفتم، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد، ثم يأذن الله في الشفاعة، فلا يبقى نبيّ ولا شهيد إلاَّ شفع، فيقول الله: أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة دينار إيمانًا فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد. ثم يشفع الله فيقول: أخرجوا من في قلبه إيمانًا ثلثي دينار، ثم يقول: ثلث دينار، ثم يقول: ربع دينار، ثم يقول: قيراطًا، ثم يقول: حبة من خردل، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد، وحتى لا يبقى في النار من عمل لله خيرًا قط، ولا يبقى أحد له شفاعة إلاَّ شفع، حتى إن إبليس يتطاول مما يرى من رحمة الله رجاء أن يشفع له. ثم يقول: بقيتُ وأنا أرحم الراحمين، فيدخل يده في جهنم، فيخرج منها ما لا يحصيه غيره، كأنهم حَمَمٌ فيلقون على نهر، يقال له: نهر الحيوان، فينبتون كما تنبت الحبة في

حميل السيل، فما يلي الشمس منها أخيضر، وما يلي الظل منها أصيفر، فينبتون كنبات الطراثيث، حتى يكونوا أمثال الذر مكتوب في رقابهم الجهنميون، عتقاء الرحمن، يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب وما عملوا خيرًا لله قط، فيمكثون في الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب في رقابهم، ثم يقولون: ربنا امح عنّا هذا الكتاب فيمحوه الله عز وجل عنهم».

ثم ذكره بطوله، ثم قال: هذا حديث مشهور، وهو غريب جدًا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرّد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه هو متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر، إلاَّ أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء، قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جدًا، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة، وجعله سياقًا واحدًا فأنكر عليه بسبب ذلك، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفًا قد جمعه، كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فالله أعلم.. (انتهى).

* * *

# عاصِمَةٌ من قاصمه

سافر رجل من أهل إحدى القرى هنا، للغربية زمن العقيلات، وبقي هناك أكثر من أربع سنين، وكانت زوجته عند أهله عادة الناس، ولكن لما طالت غيبته، ذهب أهلها إلى القاضي (حاكم الشرع) وطلبوا إليه فسخها؟ ففسخها حسب موجبات الفسخ لديه. ولما انقضت عدتها، قاموا بتزويجها رجلاً من الجماعة، فقدم زوجها من غيبته يوم عرسها، وحيـن سلّم على أهله لم ير زوجته أم فلان، فقال لأمه: أين فلانة يا أمه؟ فبكت أمه وقالت: (تفداك فلانة، الله يجبر مصيبتك بها، قد فسخت منك، والليلة عرسها لفلان)، فبكى واسترجع، (فقُبِلَت دعوتها له).

ففي اللحظة طرق الباب، وإذا هو الرجل الذي سوف يتزوجها، سمع بقدومه، فأتى إليه مسرعًا ليجبر خاطره، قبل أن ينجرح قلبه، فحين رآه باشره بقوله: (أبشر بالعوض، هذي فلانة قُدّام وجهك بدل أم فلان!) ويعني ابنته، وكانت له بنت قد بلغت سن الزواج، نحو خمسة عشر سنة أو أقل. فقال الرجل وهو يسلم عليه (مقبولةٌ، الوجه المِقْبِل ولا الْمِقْفِي، ولكن متى؟) فقال الرجل: الليلة أنت عِرِّيس عليها إنشاء الله.

فأسفر وجهه واندمل جُرْحُه. فدفع لهم صداقها، ورجع الرجل إلى امرأته أمها، فجهزوا له البنت من يومهم، وأدخله عليها قبل أن يدخل هو على المرأة (أم فلان). (انتهى).

* * *

# رَيِّـخ بالـك

(رجال مروأت) أخبرنا رجل أَخْبارِيٌّ، قال: قيل: كان فلاح صاحب ملك نخل، في إحدى نواحي البلد، وكان له عميل تاجر في البلد، جاء الفلاح ذات يوم وبات عند عميله التاجر، في المجلس القهوة، فلما أصبح ودّعه ورجع لأهله هناك.

ولكن العميل: فقد بعد ذلك دراهمًا قد وضعها في رفٍّ في المجلس في عرض الجدار، تسمى الفاغرة، توضع بها بعض الأغراض الخفيفة.

ونوع الدراهم المفقودة: جنيهين كبار تسمى (رَيِّخْ بالك) مقدار الواحدة خمس وعشرون جنيه عادي.

فالمعزب لما فقدها بعد ذهاب صاحبه، ظن أنه هو أخذها يريد يقضي بها حاجته، فعتب عليه إذ لم يستأذنه فيها، فكتب له كتابًا رسالةً وأرسله إليه، يقول فيه:

(وبعد يا أخي الجنيهين (ريح بالك) التي أنت أخذتها من الفاغرة بالمجلس، حالاً ترسلها أو ترسل قيمتها: خمسمائة ريال، قبل يجيك علم ثاني!

فلما أتاه الكتاب، سُقِطَ في يده، وعلم أنها مصيبة كبيرة، لأنه إن أخبرهم بالحقيقة وأنه لم يأخذها لم يصدقوه، فربما حصل عليه إقامة دعوى، فيشتهر عند الناس أنه خائن سارق، فاختار أن يحمي عرضه وسمعته من هذا الدنس. فأرسل لعميله جوابًا يعتذر منه قائلاً: إني أخذتها يا أخي حسب الميانة (يعني: الثقة والصداقة)، قال: والآن سوف نرسل لك قيمتها هاليومين إنشاء الله.

وكان هذا الفلاح فقيرًا، ليس يجد ما يسدد به المطلوب. فعزم على بيع ملكه النخل، ليسدد الطلب بقيمته.

وكان له صديق خاص من رجال البادية الطيبين، صاحب مواشي، (إبل وغنم)، يأتي كل سنة وقت الصيف، ينزل بناحية ملك الفلاح، فيتبادلان الكرامة بينهما، فهذا يهدي له من السمن والأقط وغيره، وهذا يمنحه حاجته من ثمر النخل وغيره، فهي صداقة على مروءة ومودة.

فحين اضطر الفلاح لبيع نخله: لم ينسى صاحبه البادي: فاستثنى له جزءًا معيَّنًا من النخل، (مِقْطَرًا) نحو خمس نخلات، لينتفع صاحبه بثمرها إذا أتى على العادة، حتى لا ينكسح وينفجع على صاحبه وعلى ما اعتاده من الانتفاع بثمر النخل.

فالفلاح باع النخل واستثنى هذه النخلات للأعرابي، وأثبت استثنائها في صلب وثيقة البيع، ثم سدد الطلب لعميله، وحمد الله على سَتْرِ عرضه، ووقايته ضرر هذه المصيبة، حيث صار عنده ما يدفع به عن عرضه.

ثم ارتحل بأهله إلى قرية أخرى، يزاول الأعمال لطلب الرزق لأهله.

فلما كان الصيف أتى الأعرابي على عادته، ونزل بناحية الملك، ثم جاء إلى بيت صاحبه الفلاح، ينادي: يا بو فلان يا بو فلان، ليسلم عليه، فخرج إليه الفلاح الجديد، ماذا تريد؟ فقال: أين فلان؟ فأنا صاحبه فلان! فقال الرجل: أما علمت بحاله؟ إنه حصل عليه كذا وكذا، فباع ملكه هذا، ولكنه استثنى نخلاتك هذه لم تدخل في البيع.

وحيث كان الأعرابي ذكيًا وقد عرف بعض أمور الشرع، فعرف أن له فيه شُفْعَة حيث أصبح صاحب جزء في الملك، فشفع فورًا، وأشهد رجالاً حوله أنه قد شَفَّعَ بالملك كله، فثبتت شفعته فيه، فباع عددًا من إبله وسدد قيمة الملك (الشُّفْعَة) قبل أن تنتهي ثلاثة الأيام، وأخذ الملك من المشترى الجديد وانتهى، (لأن الشُّفْعَة لها شروط: منها أن يُشَفِّع فورًا من حين يعلم بالبيع ويشهد بذلك، ومنها أن يسلم قيمة المشفوع في مدة أقصاها ثلاثة أيام فقط).

ثم أن الأعرابي ذهب يتطلب صاحبه في القرية هناك، فسلم عليه وقال: يفداك مَنْ راعك، أبشر بنخلك، قد شَفَّعْتُ به وأخذته لك، ثم قال (والله ما تُبْقِي لي جزءًا من ملكك حفاظًا على صداقتي، وأنا ليس لي فيه شيء في الأصل، وأتركه يذهب عليك وأنا أدرك قيمته، ولكن أمشي معي استلم ملكك. فشكره صاحبه ودعا له بخير، وارتحل بأهله ورجع معه لملكه. ثم إن التاجر (عميل الفلاح) كان جالسًا في دكانه ذات يوم، إذ مرَّ عليه دَلاَّلٌ ينادي على جنيهين ريَّح بالك يبيعها؟ فناداه

التاجر وأخذها منه ينظر فيها وسأله من أعطاه إياها يبيعها له؟ فقال الدلاّل: هذا صاحبها جالس هنا ينتظرني أبيعها له، فقام معه إليه يسئله من أين أتتك هذه الجنيهات؟ فتلعثم الرجل عن الجواب، فمسكه وعزم عليه يخبره؟ فاعترف أنه قد سرقها من ذاك البيت، فأصبح هو السارق لا الفلاح. فعرف التاجر أنه قد ظلم صاحبه الفلاح، فندم على العجلة، وأرسل للفلاح يخبره أنه وجد الجنيهات مع سارق، وأنه قد ظلمه، ويطلب منه المسامحة، وأرسل له الفلوس، فسامحه، وأخذ منه الفلوس، وأعطاها صاحبه البادي عن دراهمه في الشُّفْعَةِ. (انتهى).

* * *

# تجريد المتابعة صلاح المجتمع

كان في أصحاب النبي ﷺ رجل أسود، اسمه جلبيب، فقال له النبي: إذهب إلى فلان (لرجل من الصحابة أيضًا) يزوجك ابنته. فأتاه جلبيب وقال له: إن النبي ﷺ قال لي: اذهب إلى فلان يزوجك ابنته؟ فاستشكل الرجل الأمر، إذ أنه من غير جلدتهم، وهم كانوا على أثر عِنْصِرية عربية، فاستشار أمها في ذلك؟ فاستشكلت الأمر كذلك؟ ولكن البنت نفسها تسمعهم خلف الستارة، فألهمها الله الرشد، فقالت لأبويها: (أَتَرُدُّون على رسول الله أمره؟ إن كان هو رضيه لنا فزوجوه). فانتبهوا وقالوا: صدقتي هذا هو الحق. فذهب الرجل إلى الرسول ﷺ وقال: أترضاه لنا يا رسول الله؟ قال: نعم، فزوجوه، ولَمَّا يدخل، وهم في عملية التجهيز، إذ أمر النبي ﷺ بالخروج للجهاد، فخرج معه جلبيب، فقاتل حتى قتل شهيدًا، رضي الله عنه. يقول أنس: فما رأيت في المدينة امرأة أنفق من هذه البنت ولا أرغد عيشًا منها. رضي الله عنها[1].

* * *

(١) تفسير ابن كثير، سورة الأحزاب، بنحو ذلك.

## كذلك ـ أخرى

عَيَّنَ أبو بكر رضي الله عنه، عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، قاضيًا على المدينة، فمكث عمر سنة لم يفتتح جلسة واحدة، ولم يختصم إليه اثنان، فطلب من أبـي بكر إعفائه من القضاء. فقال أبـو بكـر: أَمِـنْ مشقـة القضـاء تطلـب الإعفـاء يـا عمـر؟ فقـال عمـر: لا يا خليفة رسول الله، ولكن لا حاجة إليَّ عند قوم مؤمنين، عرف كلُّ منهم ماله من حق فلم يطلب أكثر منه، وما عليه من واجب فلم يقصِّر في أدائه، أَحَبَّ كلُّ منهم لأخيه ما يحب لنفسه، إذا غاب أحدهم تفقدوه، وإذا مرض عادُوه، وإذا افتقر أَعانوه، وإذا احتاج ساعدوه، وإذا أصيب واسوه، دينهم النصيحة، وخلقهم العدل، ففيما يختصمون. (انتهى).

* * *

# الدهلاوية

كانت الدهلاوية: بنت نادرة من أهل الرس، جميلة ذكية شاعرة شجيعة، سخية. ولهذا يضرب بها المثل في الإنسان السخي المحبوب: (دهلاوي ــ دهلاوية). وتزوجها أحد شيوخ البادية: حولهم: وهي في محلها حول أهلها، يأتي إليها ويرجع لأهله، ولكنها لم تحض منه بالمودة والقرب، فكان يطيل الغياب عنها. فأرسلت له قصيدة تستعطفه وتستدعيه: منها قولها:

يا راكب حيل ابروسه لجاجه — أمضريات للساري والادلاج
أيلا روحن بِالدَّوْكِنْ إنْزعاجه — سِفْن حداها بالبحر بعض الأمواج
تلفون شيخ نازل بالعجاجه — (فلان) اللي للمجاويخ زعاج
قل لابن وائل كان وده ايواجه — القيض فات وباقي الوسم لَعَّاج
أمي توصيني عن الإنزلاجه — وقلبي إيلاجًا طاري البدو يَنْفَاج
أمي تقول التمني سماجه — وأنا أقول بعض التمني به أفراج

إلى آخر القصيدة والقصة، ولكنه طلقها بسبب ذلك، فقال:

يا راكبِ حيل إيلا لَجْلِجَنٍّ — يا كن ينحاهن مع الدَّوْ خَيَّال
مَدَّنْ من الانجاج حين أنهلني — وَخَذَنْ لهن مع نايف الدومقيال
والعصر عند أصويحبي بركني — أبو ثمان كنها دِرْ الاجهال

قل له تراها طالق الحبل مني     اللي قصيدة يِلْعِبِهْ كل عمال

ولما جاءها خبر الطلاق جعلت تتعزى عنه فتقول:

حي الجواب وحي من هو جوابه     إيلا صك بابه يفتح الله إمية باب

ثم تزوجها شيخ آخر كذلك فحضيت منه بالمودة والوصال، فتهلى به إذا أتاها فتقول:

يا شيخ يا خُوْهَوا وين أنت غادي     ودي على الرفايع تحطون

والرفايع موضع في ناحيت البلد حولهم: منازل للباديه، ليكثر ترداده إليها ومواصلته إياه.

ثم جعلت تهجو زوجها الأول: من ذلك قولها:

(فلان) يومنه بغاني بغيته     ما طَمَّحَوْنِي عنه كثر العشاشيق

واليوم يومنه رماني رميته     رمية أوْ ضَيْحِيٍّ رموه التفافيق

إلى آخر القصة: كما في كتاب منديل (من آدابنا الشعبية).

وهنا ملاحظات ــ ومعاني:

**أولاً**: إننا نجد شعر الدهلاويه: أوضح وأفصح من شعر الرجل. كما عجز عن تركيب قافية قصيدته على قافية قصيدتها، مع أنه بلغ الذروة في الرجولة والشجاعة.

**ثانيًا**: نعرف من سيرته معها أنه غير مود لها، إذ لو كان يحبها لما أبطأ عنها هذا البطيء، وأحوجها إلى هذا الاستدعا والتعطف، وإثارة قريحتها بما انطوى عليه ضميرها. فإن تخلف الحب مسهل للطلاق أحيانًا.

**ثالثًا**: أنه إنما طلقها مع عدم الحب ومن أجل بيت ساذج في أثناء القصيدة، قيل: إنه ليس من قولها وإنما هو مقحم فيها إقحامًا: والبيت هو بعد قولها:

قـل لابـن وائـل كـان وده ايـواجـه القيض فات وباقي الوسم لَعّاج
(حطيت لك ريش النعامه أو لاجه والبطن لك يا مدبس الخيل مسهاج)

فهذا البيت يقال إنه ليس من قولها.

وذلك أنها ألقت القصيدة شفاهيًا على أناس من قومه حين مروا بها: وهم لا يحبون لأميرهم أن يتزوج بها ويودون فراقه إياها، لأنها أجنبية منهم ليست من نسائهم حيث كانت في الأعراب عِنْصِرِيَّة لا يحبون التزوج بغير نسائهم. فانتهزوا الفرصة فَدَاسُوا رأيهم وصاغوا هذا البيت على لسانها ضمن كلامها فأدركوا مرادهم.

**رابعًا**: أن من شجاعتها ما وصفت به حادثة حرب عظيمة عام ١٢٤٢هـ وقعت بين بعض قبائل الأعراب، دامت نحو أربعين يومًا حتى قتل من الفريقين غالب رجالهم وشجعانهم: وقد حضر المعركة كل من زوجيها الأول والثاني، قتل فيها زوجها الأول، راعي الحصان. فوصفت الواقع كأنها وسط المعركة، من ذلك قولها:

عند الركايب صار ضرب الركاد وراعي الحصان المنتخى راح مطعون

**خامسًا**: معنى قوله: يِلْعِبِهْ كل عمالِ: الإلعاب في لغة بعض البادية قبل التثقف: هو القراءة والتلاوة والتغني، عرفت ذلك منهم وأنا جذع غير كبير، كنت جالسًا في المسجد جاء شيخ أعرابي فصلى

ركعتيـن ثـم أشـار إلـيَّ يقـول (أعطنـي الكتـاب بـاغِـي ألعبـه). يعنـي: المصحف: فأعطيته إياه. فجعل يقرأ به.

**سادسًا**: أنها لا ملام عليها في ذلك حيث كان زوجها يتركها أكثر الوقت، لأن الرجل سكن المرأة والمرأة سكن الرجل: كما جاء في حديث أو أثر (مسكين رجل بلا امرأة، ومسكينة امرأة بلا رجل).

ومن الشعر العامي: قولهم:

**إيلا صرت في صوب وعايلك في صوب　　　لا تنشد المسكين يكفيك ما به**

فإذا كان هذا حال الرجل: فالمرأة من باب أولى، بل هي أشد حاجة إلى ملائمة الزوج، ولحاجتها للكفاية والصيانة. اهـ.

* * *

# أحـوال مـأثـورة

نزل أعراب بجوار حضرٍ (أهلِ قرية) وإذا عند الحضر صبيّ يتيم قد ماتت أمه: فاتفقوا مع جيرانهم البدو لإرضاعه، فأرضعوه: وأبقوه عندهم لإرضاعه، وكان أبوه غائبًا. ولكن الأعراب طمعوا بالصبي فارتحلوا من جوار الحضر، وتنقلوا في البر، وكبر الصبي معهم.

فلما حضر أبوه تطلب الأعراب حتى وجدهم، وإذا الصبي قد كبر وميز ولكنه لا يعرف إلاّ هؤلاء البدو.

فالرجل طلب ابنه منهم فأنكروا وأبوا تسليمه إياه: فأحضرهم عند شيخنا عبد الله بن محمد بن حميد، إذ كان قاضيًا في بلد هناك، رحمه الله يخاصمهم فيه، فأنكروا: والشيخ يعرف أن الرجل الحضري لا يطمع بابن الأعراب ويدعيه، فغلب على ظن الشيخ أن الرجل صادق ولكن لا بد من البرهان على دعواه.

وكان الشيخ كفيف البصر ذُوْ دُهاءٍ في القضاء، وكثيرًا ما يَتَفَرَّس في القضايا المشكلة والمعضلة.

فعدل الشيخ هنا إلى التفرس في القضية: فقال الشيخ للأعراب والرجل: اخرجوا عن المجلس برّا وأبقوا الصبي عندي هنا: فخرجوا:

فالشيخ سأل الصبيّ قائلاً: هل أولاد جيرانهم يعيِّرونك؟ قال: نعم، قال: ماذا يقولون لك؟ قال: يقولون لي يا الحضري: (وذلك حيث كانت الحضارة عيب عند البدو ذاك الوقت).

فحينئذٍ ثبت لدى القاضي موجب القرينة القوية أنه ابن الرجل الحضري: فحكم له به، وأمر بتأديب البدو المنكرين، فتنازلوا وطلبوا العفو فعفى عنهم.

* * *

## دقَّــة الإحساس

مشى رجل مبصر، وشاب أعمى معًا، في أرض فضاء، فأقبلا على جدار أمامهما: فقال الأعمى للرجل: أهذا المسجد وصلناه؟ قال الرجل: نعم. وما يدريك؟ قال الأعمى: إني أحسست الهوى ثقل على نَفَسي حيث كان الجدار أمامي.

## فائدة

قـول: أهـل الحـكـمـة: (مـن سـب نـفـسـه فـي المـلأ فـهـو يمدحها).

معناه: أنك إذا أظهرت التزهد وهضم نفسك وعيبها أمام الناس: فأنت مدحتها، تريد رفع شأنها عندهم. كما يشاهد ذلك من أناس (يتغصَّصُون بالماء، وهم يزرطون البعارين). فيكون هذا من باب الرياء والتصنع للناس، ولكن أنت اجعل هذا بينك وبين الله سبحانه وأخلص له سريرتك، فالناس لا يملكون لك ضرًا ولا نفعًا، بل هو بيد الله وحده.

## قـول العـامـة

(ضربٌ تَعَدًّا ولا ضربٌ قَصَر): هو تحريض على الشجاعة والقوة. ونهى عن الضعف-والجبن. (انتهى).

* * *

# قـعـود الصَّـقَّـار

قولهم: (قعود الصقار ما أكل ذَرَّقَهُ).

الصقار: هو القناص (الصياد) إذا ذهب يتطلب الصيد: ركب جملاً (قعودًا جذعًا غير كبير، حيث يكون خفيف السير، ويستصحب معه طيرًا (صقرًا)، وكلبًا (سلوقي) للصيد. كما في المثل: لا بد القناص من رفقة الكلب: (لارتباط بعض الأمور بإنسان غير مرغوب). ثم يذهب للبر في مراتع الصيد، فيكون جمله القعود يرعى من العشب والشجر وهو يمشي فإذا وجد صيدةً أرنبًا أو حبارى خرجت من الشجر وهربت، أطلق عليها الصقر، ونهم الكلب (السلوقي) كذلك فلحقنها، ثم هو أركض جمله في إثرهن حتى لا يَضِعْنَ عنه، فإذا أدركهن أخذ الصيدة وجعلها في الْخِرْج معه، وهداء عن جمله وتركه يرعى ويمشي مشيًا عاديًا، فإذا وجد صيدة، أطلق صقره، ونهم كلبه، وأركض جمله كأول، فبسبب هذا الطرد والركض: يخرج ما في بطن الجمل (القعود). من العلف الذي رعاه آنفًا: يَذْرُقُه ذَرْقًا (خُرْءًا لَيِّنًا حارًّا). حتى لم يبقى في بطنه منه شيء: فهو قولهم (قعود الصقار ما أكل ذَرَّقَه). فجمله القعود: دائمًا جائعًا، حيث لا يستقر في بطنه شيء.

فيشبهون به بعض الأحوال والأشغال التي تربح كثيرًا وتخسر

كذلك أو أكثر . (قعود الصقار ما أكله ذرقه) . (انتهى)، قيل :

طيب الحياة لمن خفت مؤنته لم تطب لذي الأثقال والمؤن

## وقيل

شِرْبٌ على غير الظما يجرح الكبد وحُبٌّ بِبْلَيَّا موده مهونه

## وقيل

سقط الثقيل من السفينة في الدُّجىٰ فبكى عليه رِفاقه وترحموا
حتى إذا طلع الصباح أتت به نحو السفينة موجة تتقدم
قالت : خذوه كما أتاني سالمًا لم أبتلعه لأنه لا يهضم

والثقيل هنا : هو ثقيل النفس، ويقال : ثقيل الدم، ويقال : ثقيل الطبع . اهـ.

* * *

# كَيَافَة أَبُوْ اسْحَيْم

أبو اسحيم: هو الذئب: والغالب أنه يكون لونه أسحم.

وكان الذئب أكثر وقته يبيت جائعًا: ويحدث له مع الجوع حِكَّة: لا سيما وقت البرد فتكون حالته سيئة، رغم شجاعته. واهتمامه وحذره، ومع ذلك فهو أسوأ الحيوانات مبيتًا.

ولهذا توصف به الحالة السيئة، فإذا سُئِلَ الإنسان عن كَيْفَتِهِ،

ويقال: كَيَافَتِهِ في هذا السفر أو المبيت أو العمل أو الصحبة أو غيره من الأحوال؟

وكان هو لم يرغب فيها: فيخبر عن ذلك إجمالاً: فيقول (كيافة أبو اسحيم).

يعني: حالة سيئة، لأنها معروفة حالة أبو سحيم: جوعٌ، وبردٌ، وحكةٌ: فالحالة قد استحالة ضد الكيف.

أما أبو اسحيم: فهو تصغير أسحم، وهو الأشهب دون الأبيض، وغالبًا يكون لون الذئب أسحم على لون الأرض التي خلق بها ويعيش فيها: ومثله سائر الحيوان البري. (فكون لونه على لون أرضه يساعده للاختفاء عن أضداده حالة انتشاره في طلب المعيشة).

فقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرعد/ ١٠].

فالمستخفى: هو الذي يظهر بالليل يسعى يتطلب المعيشة تحت ظلام الليل يخفيه الظلام عن أضداده: حيث يكون لونه لون أرضه.

وقوله: وسارب بالنهار: أي داخل في السرب وهو الجحر: سارب أي جاحر. (انتهى).

* * *

## [تابع] القرابات

قال:

إذا أَذْمَتْ قَوارِصُكم فؤادي     صبرت على أذاكم وانطويت
وجئت إليكمو طلق المُحَيّا     كأني ما سمعت ولا رأيت

## وقال رميزان

مَنْ مات ما ارَّثْ مِنْ ذَراريه مثله     مات موت الضَّوْ عن وقودها
يموت الفتى موتين موت من الفنا     وموت من أخلاف الذراري جدودها

❊ ❊ ❊

# المُحَلَّقُ .. والأَعْشَىٰ [تابع ـ أيام العرب]
# ملخص من كتاب
# «سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب»

كان الْمُحَلَّق من العرب القدماء وكان من أوساط الناس، وكان غير موسر: ليس له من المال إلاَّ ناقة يحلبونها، وإنما كان الشرف والغنى لأبيه، وقد مات. وكان ذو بنات أو أخوات نحو سبع أو ثمان عوانس قد قعدن عن الزواج: لأن الناس كانوا لا يرغبون إلاَّ ابنت العائلة ذات الشرف: والشرف عندهم في أحد أمرين إما الكرم والجود، وهو النَّدَا: وإما الشجاعة والظفر، بحماية الجماعة، وهو قتل الأعداء ورد المعتدين. والمحلق ليس به واحدة من الثنتين، فبارت بناته.

وكان الأعشىٰ شاعرًا فقيرًا أعمى يتطوف في الناس يلتمس العطا والإجدا من أهل الإثرا.

وذات يوم أتى الأعشى مارًّا في بعض أسفاره فورد الماء الذي عليه المحلق وقومه وحيث كان الأعشى شاعرًا بليغ اللسان إذا مدح أجاد وإذا هجا تعدا: فقام قوم المحلق بضيافته وإكرامه خوفًا من هجائه.

وكانت للمحلق عمة نادرة الرأي، ناضجة العقل، شريفة

الأصالة، يهمها أمر قراباتها. فقالت له يا ابن أخي هذا الأعشى قد حضر هنا وقد زعموا أنه إذا مدح أحدًا رفعه وإذا هجا أحدًا وضعه: وإني أرا لك أن تمنحه عطية تغريه وتثير قريحته بمدحك؟ لأجل يرغب الناس أخواتك إذا سمعوا مدحه إياك.

فقال المحلق: ليس عندي شيء من المال إلاّ هذه الناقة نحلبها نتقوت حليبها. وهذه البردين (الثوبين) لحقوق الأضياف.

فقالت العمة: احتل لك في شراء ظرف شراب من أحد التجار مع الناقة والبردين وأعطها الأعشىٰ.

فجعل المحلق يدخل ويخرج يتردد هل يفعل أم لا؟ وعمته تحضه وتعزم عليه أن يفعل: ثم اعتذر المحلق لعمته بأن الشاعر قد خرج وذهب؟ فقالت: الآن (طاب لك الْمَسْنىٰ). أي زان لك تقديم الهدية له: تتبعه إياها مع مولى أبيك، وكان لهم مولى خادمًا لأبيه شيخ (شايب): قالت: ويعتذر لك منه بأنك كنت غائبًا حال قدومه على قومك.

فعزم المحلق على تنفيذ ما أشارت به العمة.

فذهب واستدان من تاجر ظرف شراب، وأحضر للتاجر من يضمن له القيمة.

فأرسل المحلق الناقة والبردين وظرف الشراب مع مولى أبيه على أثر الأعشىٰ يسأل عنه، فكلما أتى على أهل ماءٍ قالوا إنه قد سار من هنا أمسى، فما لحقه حتى وصل بيته في اليمامة، في بلدة مَنْفُوْحَه: وهي

الآن جنوبـي مدينة الرياض، وكانت بلاد الرياض لم توجد ذاك الوقت. (فـالأعشـى إذًا عـربــي حضـري)، لأن لـه قصيـدة محفـوظـة ضمـن المعلقات، لحفظ اللغة العربية.

فلما وصله المرسول (المولى). طرق عليه الباب وإذا عنده فتيان من أصحابه قد غداهم في غير لحم، ويسقيهم فضيخًا، ويقال: شَنِين وهو اللبن المخلوط بماء، فقال: انظروا من هذا الذي بالباب؟ فأخبروه بأنه رسول المحلق ومعه كيت وكيت: فقال الأعشىٰ: وَيْحَكُمْ إن المحلق ليس له شيء يذكر وإني إن أكلت من كبد جزوره وسنامها وشربت من شرابه ولبست برديه لقلت فيه قولاً لم أقل مثله.

ثم قال ائذنوا له: فدخل وأخبره برسالة المحلق وعذره فقبلها، وقال: (أقرئه السلام وقل له وصلتك رحم، سيأتيك ثناءها).

فنحروا الناقة وبادروا بإخراج كبدها وشواءها وقطعوا سنامها فشووا وأكلوا وشربوا.

فقالوا: ماذا تقول في الحلق إذًا؟ فقال: أنا الآن مغمور بإنعامه فدعوني حتى أفيق.

ثم إنشاء قصيدة يمدح بها المحلق. قال:

أرقـت ومـا هـذا السهـاد المـؤرق ... ومـا بــي سقـم ومـا بــي معشـق

إلى أن قال:

لعمـري لقـد لاحـت عيـون كثيـرة ... إلـى ضَـوءِ نـار فـي يَفَـاعٍ تحـرق

تُشَـبُّ لمقـروريـن يصطليـانهـا ... وبـات علـى النـار النـدا والمحلـق

رضيعا لبان ثديا أم تقاسما ... بأسحم داجٍ عوض لا نتفرق

إلى أن قال:

أبا مسمع سار الذي قد فعلتمو ... فأنجد أقوام به ثم أعرقوا

به تعقد الأجمال في كل منزل ... وتعقد أطراف الحبال وتطلق

فسار هذا الشعر وذاع في العرب: وكان الشعر يعمل في نفوس العرب عمل الأسنة بالأبدان. وقوله: أنجد، أي شاع في نجد، وأعرق، أي شاع في العراق.

وحين سمعوه أتوا إلى المحلق يخطبون منه بناته، كل واحد يقول: لعلي أدرك واحدة منهن. وصادفت الحال أن اجتمعوا عنده: فبعدما أكلوا طعام الضيافة جلسوا كل واحد ينتظر تفرق الجماعة.

فلما لم يتفرقوا عرف أن غرضَهم غرضُه. فبادر قائلاً: أنا أتيتك أخطب منك ابنتك، أو قال: أختك؟

فقال: أبوها المحلق قد أجبتك وزوجتك إياها: وقال الآخر وأنا أريد الأخرى؟

قال: قد أجبتك. وقال آخر: وأنا أريد الأخرى؟ قال: قد أجبتك. فما تفرق المجلس وفيهن واحدة إلاَّ وقد تزوجت.

يقال: إنه يشترط صداق كل واحدة مائة ناقة: فعظم غناه وشرفه بعد ذلك. وقيل: إن الأعشىٰ ذهب وأنشد هذه القصيدة في المحلق: بسوق عكاظ: مجتمع العرب: فانتشرت سريعًا، فابتدروه يخطبون أخواته: حيث زعم الشاعر في قصيدته أن المحلق صاحب كرم وندا،

وأنه يوقد النار بالليل حتى تُرا من بعيد لأجل يأتيه من يريد العشا والضيافة.

وقد استعد لهم بذلك: هذا معنى كلام الشاعر هنا. وهذه عادة معروفة لأهل الندا والجود والكرم: فيعظم شرفهم عند الناس.

وهذا هو الذي أطمعهم يتزوجون أخواته.

وتوجد هذه العادة والفعل السخي في بعض الناس إلى وقتنا القريب وحتى الآن، فيضرب به المثل: (فلان مْصَوِّتْ بالعشا). أي ينادي بالليل: (وين أنت يا الجَوْعان) فيأتونه يعشيهم.

(المعاني): اليفاع: هو المرتفع من الأرض، لأجل ترى النار من بعيد.

قوله: (أنجد أقوام به ثم أعرقوا): أي قد انتشر صيتكم وشاع ذكركم بالجود والندا في سائر بلاد نجد، ثم وصل حتى العراق.

قوله:

**تشب لمقرودين يصطليانها وبات على النار الندا والمحلق**

يعني: أن المحلق يبيت بنداه وكرمه يضيء النار ليراها الأضياف يأتونه فتقر عينه بهم كما تقول: (أهلاً وسهلاً تفضلوا الله يحييكم: ثم تقول: شرفتونا بقدومكم إلينا أو بدخولكم محلنا، ونحو ذلك).

وهذا مثله قول ابن فهيد: يدعو لزوجته حين ماتت: قال:

**اطلب عسى الجنة منازل أمطيره عسى اعظامه ما تجي واهج النار**

**ما هو حب له ولا هي نظيره مير إنها تبهش إيلا جان خطار**

مـا هـي خطـو العلـة المستـديـرة　　يمسي العتيم وفاير القدر ما فار

يعني: أنها تساعده على إكرام الأضياف ولا تكترث بهم، بل تقوم بعمل طبخ الطعام لهم ولو بعد هزيع من الليل سمحت البال.

ومثله: قصة (يا اكليب شب النار). وتأتي في آخر الباب: إنشاء الله.

قوله:

رضيعـا لبـان ثـديـا أم تقـاسمـا　　بـأسحـم داجٍ عـوض لا نتفـرق

يعني: أن المحلق والندا قد نشآ من أصل واحد ورضعا ثديًا واحدًا وتقاسما: أي تحالفا أن لا يفترقا.

أما: أسحم داج: فهو اسم شيء معروف لديهم يتقاسم به: لكني أنا لم أقف على معناه.

ويُعرف من القصة أن المحلق ليس كذلك، ولكن الشعر جذاب.

وهذا إنما تأتَّى للمحلق بسبب رأي عمته ويمن سفارتها: حيث أخلصت رأيها للعناية بقراباتها واهتمامها لتزويج هؤلاء العوانس.

وكثيرًا ما يندر رأي من بعض النساء تحمد عاقبته أكثر.

* * *

## [هنا سالفة] رَأيُ امرأة صائب

كانت قبائل الأعراب لهم أمراء (رؤساء) في تباعت الرئيس الكبير. (شيخ القبيلة). فجماعة الأمير الكبير: في إحدى غزواتهم أخذوا إبلا لرجل من قبيلة هناك، كان صاحبها يغالي بحفظها وتعريبها.

وحين أخذوها إهتم صاحبها لعمل سبب يسترجعها به، وكان شاعرًا.

فذهب إلى أمير تابع للأمير الكبير آخذ الإبل: فجلس عنده مدة وطلب منه أن يسعى له في تحصيل إبله، وعزم عليه فعرض عليه الأمير أن يعطيه من إبله بدلها بعددها؟ فأبى إلاَّ إبله بعينها! فبقي هذا الأمير حائرًا في الأمر؟ فالإبل عند جماعة أميره الكبير: ويعرف أنهم لا يؤدونها بسعايته إليهم؟ وهذا صاحبها شاعر ويخشى منه أن يهجوه هجوًا يشين سمعته عند من لا يعرفه: عادة الشعراء إذا غضبوا (فبعض العار لا يمحاه ماحي).

لكنه اقترح رأيًا عجيبًا شديد الصعوبة. فارتحل بجماعته من منزله ونزل بقرب الأمير الكبير وجماعته، فلما نزلوا وعلم بهم الأمير

الكبيـر: ركب وخـادمه وأتـى إلى هـذا الأمير النـازل يعزمه (يدعـوه) عزيمة للعشاء: عيد القدوم: وكانت عادة سائرة عند الناس حتى وقتنا هذا.

فلما وصلهم وإذا هذا الأمير قد استعد له للحصول على النتيجة. فأمر أصحابه فمسكوا الأمير الكبير وربطوا قيد الحديد برجليه وقالوا لخادمه ارجع أخبر أهلك أننا نريد إبل فلان.

فلما أخبرهم فزعوا وركبوا الخيل بالسلاح: فقامت امرأة الأمير المسجون، وقالت لهم: إلى أين يا آل فلان؟

قالوا: نريد نخلص شيخنا من فلان. فقالت: (أخذ الله وجيهكم يالأغبياء: إذا رآكم قد فزعتم عليه بالخيل والسلاح قطع رأس الأمير عنده وقابلكم بالخيل والسلاح، وهو مطلوبه إبل فلان، أرسلوها إليه ويأتي أميركم بدون قتال). فقالوا: شورك راشد مقبول. فجمعوا إبل الشاعر وأرسلوها إليه فلما وصلتهم، قال لصاحبها: قم تفقد إبلك هل هي كاملة أم لا؟.

فنظر الرجل فيها وإذا هي كاملة: فقال الأمير لأصحابه فكوا الحديد عن الأمير.

ثـم قـال لـه تفـضـل يـالأمـيـر للقـهـوة: والله يـالأمير مـا هـو استهـانـة بحقـك ولكـن مـا أبغـي هـذا الشـاعر يلوك لسانـه في هجائنا وسبنـا مـن أجـل حـراسيسـه (وذلـك تصغيـر لشـأنها بجـانب العـار). فقـال الأمـيـر: لـيـس عـليـك مـلام مني قـد عفـونـا عنـك: وعشاكم

عندنا غدًا، أنت وجماعتك: فقال: نعم.

قال الشاعر:

**لا يحمل الحقد مَنْ تعلو به الرُّتب      ولا ينال العلى مَنْ طبعه الغضب**

فذهبوا وأكلوا كرامة شيخهم ليس بينهم شيء. فدفع الله عنهم البلى والقتال بسبب رأي امرأة الأمير. (انتهى).

❊ ❊ ❊

## [هنا سالفة] يا اكليب شب النار

كان أخوان أهل كرم ونَدا، فكان الناس ينتابونهم للضيافة والمبيت، وخصوصًا ليالي الشتاء والبرد، قد انتشر صيتهم وشرفهم في الناس، حيث كانوا على طريق عام.

فلما ماتا خلفهما أبناءهما: فاستصعبوا الأمر فتركوه وأغلقوا بابهم: فانتقدهم الناس وعابوهم، فعزم الأولاد على استئناف شرفهم وتلافي أمرهم، والقيام بما كان عليه أبواهم من المكارم والمعالي.

وكان ابن أحدهم اسمه (كليب) وابن الآخر اسمه (عليّ). فتمثل عليٌّ بقصيدة جيدة ويسند على ابن عمه كليب: ويخبره بالتساعد على متطلبات الضيافة، كل بما يستطيعه. فبعضهم يأتي بالحطب، وآتٍ بالماء، وآتٍ بالدلال، وآتٍ بالقهوة، وآتٍ بالذبيحة، وجالسٌ على المعاميل (الدلال) يستعد لطروق الأضياف ليلاً، وبعضهم نهارًا، ومعدٌّ أهله لطبخ طعام الضيوف، وغير ذلك مما يحتاج جهود وصبر جميل وسخاء نفس، فقال:

يا اكليب شُبْ النار يا اكليب شبه     عليك شبه والحطب لك إيجاب
علينـــا تقليـــط مـــاهـــا وحبـــه     وعليـك تقليـط الـدلال العـذاب

واجذب لها يا اكليب من رِمْث خِبَّهْ نبي نحيي سنة الشياب الغياب
إيلا قابَلَ الهِلْباج خَطْو الجلِبِّه ما حلى يا اكليب خبط الركاب
بنسرية يا اكليب صَلْف مَهَبَّهْ مِتكَوْبِعِين وسوقهم بالعقاب
الوالمه يا اكليب عجل ابصبه والرزق عند امنشى السحاب
واذبح لهم كبش وسيع الْمَلَبَّهْ ومن مضرب الخوصه اتحنا الركاب

(المعاني)، قوله: يا اكليب شب النار: هو كناية عن القيام بالأمر. ومن عادة الكرام يوقدون نارًا بالليل في محل بارز ليراها أهل البر المحتاجون: فيضوون عليها، أي يأتونها للعشا والمبيت والذرا.

قوله: واجذب لها من رمث خبه: الجذب هنا هو التناول باليد، والرمث نوع من حطب البر وترعاه الإبل حمضًا خصبًا: خبه: هو موضع الحطب حول محلهم.

قوله: نحيي سنة الشياب الغياب: يعني: أبويهم الميتين. حيث كانت هذه عادتهم الطيبة.

ثم ذكر العقبة الكئود وهي: ترك النوم والراحة والأنس بالزوجة من أجل ذلك، خلاف حال الهلباج الذي يتلهى بزوجته ونومه وراحته ويترك القيام للمحتاجين والجياع.

أما الهلباج فهو: الرجل الثقيل الغير شجيع ولا سخي.

وأما الْجِلِبِّه: ويقال اجْلِبَّانِهْ فهي المرأة متوسطة العمر رَخِيَّةُ الجسم.

لكنه هو يريد يبقى حول النار والقهوة ينتظر من يأتي: فلا يذهب

لمرقده حتى ييأس من مجيء الأضياف. وإن أتى أحد ليلاً فهو على استعداد للقيام لهم.

قوله: ما حلى خبط الركاب: أي يفرح إذا أحس بوصولهم إليه: قام إليهم وهلاً ورحب واستقبلهم بالبشر والفرح يؤنسهم ويثلج صدورهم عن الخجل والحياء: وهذا منه فضل بعد فضل وكرم على كرم.

وخبط الركاب: هو نَحِيطُها حين تناخ، فرحا منها بالراحة بعد السير والتعب.

قوله:

(بِنَشْرِيَّةٍ يا اكليب صلف مهبَّه متكوبعين وسوقهم بالعقاب

وذلك أن ليالي الشتاء كثيرًا ما يشتد فيها البرد بهبوب الرياح الباردة من جهة النسر وهو ما بين الشمال والشرق.

وإذا كانوا راكبين زاد عليهم البرد، فيلتحف أحدهم بما معه، من عباءة وفروة ونحوها، ويلم يديه على جنبيه من البرد، فيدك الناقة بعقب رجله، أي: يحثها على سرعة المشي فيرجفها رجفًا بعقبه.

قوله: (الوالِمَة يا اكليب عجل ابصبه): هي قهوة معمولة جاهزة للشرب، قد عملها وأعدها لمثل هؤلاء الأضياف، كرمًا واهتمامًا بالمحاويج بسرعة تقديم القِرى لهم الذي أوله القهوة.

قوله: (والرزق يا اكليب عند منشي السحاب): يعني أن الرزق لا ينقصه السخاء والمروءة، نفق ويخلف الله سبحانه. كما أن الشح

لا يزيد في الرزق: فالكل مقدره الله سبحانه، والله يحب السخاء ويبغض الشح: كما في الأثر (لَسَخِيٌّ جاهل أحب إلى الله من عابد بخيل).

قولَه:

**واذبـح لهـم كبـش وسيـع المَلَبِّـهْ    مـن مضرب الخوصه تحنا الركاب**

يعني: إذا وجدت واستطعت أن تذبح لهم فهو أفضل، وإلاَّ الميسور مع العذر، والملبه هو النحر، فسعت الملبه من جزالة الجسم. والخوصه: هي السكين ومضربها هو موضع التذكية، وهو الدم المنبثق المسفوح: يلطخون به صفحة عنق راحلة الضيف لأجل إذا سار من عندهم يُعرف أنهم قد ذبحوا له، فيقال: هذا أثر كرمهم في عنق راحلتك. (انتهى).

* * *

# نِيّتِكْ مَطِيّتِكْ

أراد رجل هنا أن يسافر إلى بعض البلدان، ومعه من الإبل ناقتين، واتفق برفقة يريدون يسافرون كذلك، وهم أربعة رجال، ومعهم من الإبل أربع ركايب فقط. فطلب منهم الرجل أن يُخاويهم يسافر معهم؟ إذ لا بد في هذا الطريق من رفقة. فأجابوا، لكن اشترطوا عليه أن يتحمل نصف مصروفاتهم في الطريق؟، وحيث كان مضطرًا للأصحاب في السفر التزم لهم بذلك.

فساروا جميعًا، وفي أثناء الطريق، لما نزلوا وسط النهار وجدوا راعي غنم فاشتروا منه ذبيحة وذبحوها، ليطبخوا بعضها عشاءً، وأخروا أعضائها فيما بعد. وسرح أحد الرجال الأربعة بالإبل يرعاها هناك، ولكنه جاء بالإبل هاضلاً قبل المغرب، وإذا هو قد أضاع إحدى ناقتي الرجل. فركب الرجل ناقته الحاضرة وذهب يتطلب الضائعة، لعله يجدها قبل ظلام الليل. فلما وصل مكان مرعى الإبل هناك، وإذا ناقته قد أناخها الراعي خويه وعقل يدها. فعرف الرجل قصدهم به أنهم يريدون يأكلون عنه اللحم إذا ذهب يتطلبها، مع أنه قد دفع نصف القيمة.

فأطلق عقالها وأتى بها، وحين وصل المنزل، وإذا أخوياه غير

موجودين هم وإبلهم، أما العفش فهو مكانه، وقدر اللحم والعشاء مكانه على النار. فتعجب من ذلك؟

فأنزل القدر وتعشى، وإذا هم أتوا يبكون، وبهم جراحات ودم، وأحدهم قد كسرت يده، حيث أتاهم قوم حرامية، بعدما ذهب الرجل يتطلب ناقته، فقاموا بكفاحهم، لكن غلبهم القوم وأخذوا إبلهم وضربوهم فكسرت يد أحدهم. فرجعوا يبكون، ليس معهم ولا بعير.

أما هذا الرجل فقد سلمت ناقته، بسبب حسدهم إياه، فرجع حسدهم عليهم.

فتصدق عليهم الرجل يحملهم للبلد. (انتهى).

* * *

# إعطاءُ اللُّقَم يدفع النِّقم

كانت امرأتان فقيرتان، متقاربتا الحال، مختلفتا الفعال. فإذا أعطيتا صدقة: فهذه تأكل منها حاجتها ثم تتصدق بالباقي. وأما الأخرى: فليست تعطي شيئًا، فما بقي عندها إدّخرته لنفسها. فماتت المتصدقة قبل صاحبتها، وبعد مدة أتت إليها في المنام وقالت لها: ما بقي عليك إلاَّ ثلاثة أيام، ولا أمامك إلاَّ أرض بيضاء! (تعني أنها قاحلة، ليس بها ظلال، ولا ثمر، ولا ماء).

فانزعج عقل المرأة، وذهبت للشيخ (عالم البلد) فأخبرته، وقالت: أنا الآن سوف أتصدق؟ فقال الشيخ: أنت الآن ليس لكِ التصرف بمالكِ، لأنكِ في عداد الموتى إن صدقت رؤياكِ، فلا يجوز تصرفكِ في مالكِ، فإن مضت ثلاثة الأيام ولم تموتي فتصدقي، إذ لم تصدق رؤياكِ.

فلما كان اليوم الثالث سقطت من الدرج فماتت، فالله المستعان.

* * *

## كذلك امرأة أُخرى

كانت امرأة: إذا بقي شيء من طعام عشاهم أعطته البقرة، (في حين أن الناس يحتاجون الطعام، فإذا أعطوا طعامًا ولو بعدما تعشوا، فرحوا به وأكلوه)، لأن الخصب إذ ذاك أقل منه هذا الوقت. وقد يكون ليس لهم عشاء تلك الليلة، ولم يعلم بحالهم، وهذا يقع كثيرًا، فيصادف هذا الطعام حاجة يسد رمقهم.

الحاصل أن هذه المرأة: رؤيت في المنام بعد موتها وإذا هي تأكل خروء البقرة.

* * *

## كذلك امرأة أخرى

حيث كان الناس يبردون ماء الشرب بالقربة، ولا بد أن يكون ظاهرها يتسرب فيه قليل من مائها، لأجل حكمة التبريد، فيجعلون تحتها إناءً يجمع المتسرب.

فهذه المرأة عندها قربة فيها ماء الشرب، فإذا أتاها أحد عطشان وسألها مـاءً ليشرب؟ أعطته من المتسرب في الإناء تحت القربة، شاحة بالماء النظيف البارد في القربة، فلما ماتت. رؤيت في المنام وإذا هي تشرب من هذا الماء المتسرب تحت القربة. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم/ ٤٤]. (انتهى).

❋ ❋ ❋

# الحزم والعزم نجاح الأمور

كان هناك فلاح صاحب مزرعة، وكان له عبدان مملوكان له، يعملان له في مزرعته، وحين أراد أن يحج: عيّن لكل واحد منهما قطعة من أرض المزرعة، ليحرثها بالمسحات، وهذا عمل معروف، لأجل تدخلها الشمس والهوى لصلاح الأرض، لإنبات الزرع جيّدًا. وقال لكل واحد منهما: إحرث هذه القطعة فهو عملك حتى أرجع من الحج إنشاء الله، فإذا خلصتها فاسترح.

فكان أحدهما حازم عازم: إذا أصبح أتى بمسحاته، وجعل يعمل، ولا ينظر لكثرة الأرض، أو تأخر مجيئه، فأي وقت أمكنه المجيء، جاء وجعل يعمل قليلاً أو كثيرًا. فما لبث إلاّ وقد انتهت، فاستراح، قبل مجيء عمه (سيده).

أما الآخر: فإنه كسلان عَجّاز مهين، إذا جاء وفق وسط الأرض وجعل ينظر هنا وهنا، فاستكثرها، وجعل يبكي ويقول: آه، من هالهوك إلى ذاك الهوك، متى أعملها وتخلص، وماذا يفيد عملي اليوم، ولكن أرجع وآتي غدًا مبكرًا، فيرجع، فإذا أتى من الغد: فعل وقال مثل فعله وقوله أمسى، ثم يرجع.

فلما جاء سيدهما وإذا هذا قد خلص عمله واستراح، وهذا عمله باق في مكانه، فألزمه يعملها طول النهار حتى خلصها.

## مؤلمة

أتى شاب ليلة زواجه، وهو جائع لم يدرك له عشاءً، فلما أتى زوجته البنت وإذا هي كذلك لم يحصل لها عشاءً، فباتا عروسين طاويين، فلما أصبح وإذا هو على موعد، ليعمل عند فلان في بيته، عاملاً بالطين أو غيره، فقالت البنت: أنا على وشك هلاك من الجوع! ولكن أريد أذهب معك وأقف خلف الباب، فإذا قدم لك المعزب الفطور تمرات قبل العمل: فكل منها، وخذ باقيها بيدك وناولني إياه من خلف الباب، لعلك تسعفني بها عن هلاك الجوع.

فذهب الشاب للرجل على موعده قبل طلوع الشمس، وهي خلفه، فطرق عليه الباب، فلما خرج إليه الرجل قال له: أين المسحات، ألا أتيت معك بمسحات؟ فقال الشاب: لم يكن عندي مسحات، فقال الرجل: (عاملٌ ولا مسحات معك، ارجع لا عمل لك عندنا)، ثم أغلق الباب. فانكسح الشاب، والتفت إلى زوجته وقال: قد تأزمت الأمور، فماذا ترين؟ قالت: والله ما أدري ولكن انظر أنت ماذا تعمل؟ فقال: ارجعي أنت للبيت وأنا أريد أذهب أتسبب لعلي أجد شيئًا يجدي.

فقالت: وأنا أريد أذهب معك، فماذا يجدي جلوسي في البيت؟

يمكن أموت فيه، فقال: لا تتبعينني.

فمشى ذاهبًا، فتبعته، فالتفت إليها وقال: ارجعي، فتقف، فإذا سار تبعته عن بُعد، فيقف ويزجرها فتقف، فسار وخرج من البلد وهي في أثره، فالتفت إليها، وجعل يأخذ من الرضم الحجارة ويضربها به حتى أرهقها بالحجارة، فرجعت.

فهذا آخر ما بلغنا عنهما، لا نعلم ما حالهما بعد ذلك. فالحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة، ونسؤله العافية من البلاوي. (انتهى).

❊ ❊ ❊

## عِبْـرَةٌ

كانت هنا فلاحة نخل، في إحدى نواحي البلد، ويمر بقربها جادة، هي طريق إلى قرىً هناك،

جاء رجل يمشي في الجادة، وحيـن حاذى النخل، مال إليه يشرب من الماء في البركة تحت النخل، ثم نظر وإذا بقربه نخلة قد بدأ بها البسر والتمر، وإذا هو جائع وأمامه طريق بعيد. فَرَقَا النخلة يأخذ من تمرها وبسرها في مخباته، عادة بعض الناس في مثل ذلك، من غير ما بأس.

فرآه صاحب النخل فأتاه مسرعًا ومسكه وضربه وأخذ ما معه. فذهب الرجل في طريقه.

ولكن النخلة في اليوم الثاني بدأ بها الموت، فماتت ومات ثمرها جميعًا. أللهم لا تحرمنا فضلك بسوء عملنا. (انتهى).

* * *

## أهمية حفظ النسب وفائدته

قيل: كان رجل في البادية، له ثلاثة أولاد، وقد أتعبهم في رعي الدبش (الإبل والغنم) في البر، ولم يخولهم من المال ما يريدون، فتغاضبوا عليه، وعزموا على قتله، وأعلموا أمهم بذلك سرًّا، فأعلمته بأمرهم، وكانوا يبيتون بالليل في البر بالعزيب مع الدبش.

فلما كان الليل جاء أحدهم، وكانت الأم ترقبهم، فقالت للأب: قم هذا ابنك الكبير جاء، فقال الأب: الْحَكِي فيكي أَنْتِ، هل أنت حافظته أم لا؟ (يعني هل أنا أبوه صحيح، أم أبوه غيري؟)، فقالت: لا، والله إنه ما خلطه غيرك. فقال: اتركيه، فلما قرب من البيت (الشعر) وقف وفكر ثم رجع. ثم جاء الثاني، فقالت: هذا فلان جاء، تعني الأوسط! فقال الأب: المقصود، هل أنت حافظته أم لا؟ فقالت: إوالله إنه ما خلطه غيرك. فلما قرب من البيت وقف وفكر ثم رجع. ثم جاء الثالث الصغير، فقالت: هذا فلان جاء، قال الأب: هل أنت حافظته أم لا؟ فقالت: هاه والله مادري، فقال: هذا العلم. فقام الرجل واستعد بسلاحه، فلما وصل البيت لم يقف بل عزم ودخل ليقتل، (لأنه ليس وَلْدَتْ حلال) فبادره الأب بالخنجر (السكين) ولهب كلاويه وإذا أمعائه بالأرض، فاستراح منه.

قلت: ومثل هذا يقع في أوقات الجهل والجفا والفوضاء، عافانا الله من البلاوي. (انتهى).

## ابن الأسد.. تفاوت أمانة النساء

كان ابن الأسد رجلاً غنيًا جدًا، ولم ينتج له أولاد إلاَّ ابنًا واحدًا، غير كبير. وكانوا يحفرون حفرة في البيت يضعون فيها الفلوس ثم يغطونها بفرش، (حجر واسع خفيف) ويجعلون فوقه شيئًا من الرمل حتى لا يعلم بمكانه الحرامية، لأن أرض البيت كلها ترابية كما في المثل: الأرض ما تخبر بما فيها.

الحاصل أن ابن الأسد قد وضع ماله هكذا في حفرة وسط البيت، وأعلم المرأة به، ولم تكن هي أم للإبن وحين ظن اقتراب أجله وكان ابنه لم ينضج عقله لحداثته وعدم تجاربه. فأراد الأب أن لا يستولي ابنه على المال حتى ينضج عقله.

فأوصى المرأة أن تحفظ المال وتأخذ منه بقدر حاجتهما حتى يعقل ابنه فتسلمه إياه.

فمات الأب، ثم إن المرأة تزوجت بعد ذلك وهي في البيت، فرغبت في الزوج وطمعت بالمال، وأرادت أن تستأثر به دون الابن، فجعلت لا تنفق مصروفات البيت، فضاقت الحال على الابن، فقالت له: اعمل مع الناس في طلب المعيشة! فقال: إني أستحي اعمل

بالأجرة وأنا ولد ابن الأسد؟ فقالت: اذهب إلى بلد لا تُعْرَف فيها، فإنك تستطيع تعمل فهو أبقى لماء وجهك.

فذهب إلى بلد هناك، وعمل عند رجل له مزرعة، فخصص عمله بأن يحمل على الحمارة سمادًا من البيت يوزعه بالمزرعة. وذات ساعة وهو مِذْبِح بظهرِهِ ورأسِهِ يعمل: إذ بالت الحمارة على رأسه ووجهه، فجعل ينفضه عنه ويبكي ويقول: (إيْه يوم هي مقبله (يعني الدنيا) والحمام باض على الوتد، ويوم إنها أدبرت بال الحمار على ابن الأسد).

وإذا المعزب يسمعه، وكان يسمع عن ابن الأسد أنه ذو مال! فاستشكل الأمر ورحمه، فطلع إليه وقال: خلاص يا فلان بطل العمل وغسِّل وتعال للقهوة؛ فلما جلس معه قال له: من هو أبوك؟ فلم يخبره بل قال: أنا من هالناس، فقال المعزب: أنا أسمعك تقول ابن الأسد؟ فقال: نعم أنا ولد ابن الأسد، فقال: أين مال أبيك، فأبوك ذو مال؟ فقال الولد: لم أجد وراء أبـي شيئًا.

فسأله من ورثه معه، ومن تولا تركة أبيه؟ فأخبره أنه ليس ثم غير زوجة أبيه، وأنها قد تزوجت بعده، وهي في البيت. فقال الرجل: (يظهر لي أن مال أبيك عندها، وأنها تريد تستأثر به وزوجها دونك. فقال الولد: كيف لي أن أعلم ذلك؟ فقال الرجل: أنا أعمل لك تخطيط يمكن أن يفيدك ذلك.

وكان الرجل عنده ابنة له قد ناهزت البلوغ لها من العمر نحو ثلاثة عشر أو أربعة عشر سنة فزوجه إياها ليرسلها معه تفحص له الأمر،

واشترط عليه أن لا يقربها بالجماع حتى يرجع بها هنا. فالتزم بالشرط، فطلسوها بسواد سِنُوْ) وأعطاها أبوها تعليمات إذا وصلت البيت هناك، بأن تكون كأنها لا تعقل شيئًا.

فذهب بها فلما وصل وطرق بابه على المرأة فتحت له، فارتاعت حين رأت معه هذه السودا، وقالت: ألله لا يجيب لك خير وش هاللي أنت جايب معك؟ فقال: ما عليكِ هذه مسكينة شبه بهيمة لا تسمع ولا تعقل شيئًا، قد وجدتها متروكة في الطريق وخشيت أنها تهلك، فاحتسبت الأجر فيها، ولكن اتركيها في هذا البيت ولا تهتمين لها بشيء، فأنا أقوم بخدمتها عنكِ.

فجعلت البنت تظهر عدم العقل والإحساس، فتمشى فيضربها الجدار في وجهها فسقط على وجهها وتنقلب على ظهرها وعلى جنبها، وتدخل من هنا وتخرج من هناك، وتبقى ساقطة وقتًا، فإذا جاء الولد جعل يقوم بشؤنها، فينظفها ويطعمها، يلقمها بيده ويسقيها، فإذا خرج جاءت المرأة إليها تختبرها، فتصيح بأذنها وتضربها فتوجعها فلا تهتز ولا كأنها تحس بشيء، حتى وثقت المرأة أنها لا تعقل.

وذات يوم جاء الزوج إليها ففتحت له ودخل فرأى هذه السودا فاهتز وارتاع، فقالت المرأة: ما عليك لا تخاف، هذه شبه بهيمة ما تعقل، فاطمأن الرجل عندها وقضى غرضه منها، وقال: أعطِني دراهمًا إني قد اشتريت إبلاً، (وكان هو جزّارًا). (هذا والبنت تبصرهما ساقطة شاخصًا بصرها كأنها مصروعة). فأتت المرأة إلى الخزنة فزحّفت الرمل عن غطاء الخزينة، ثم رفعت الغطا وجعلت تحثو من الدراهم بلا عد،

حتى قال الرجل: يكفي يكفي، ثم ذهب، وأرجعت الغطا مكانه.

فلما جاء الولد جعل يصلح البنت على العادة ينظفها ويطعمها ويسقيها، ويسألها خفية: هل رأيتي شيئًا؟ قالت: نعم، قد عرفت موضع الخزنة، ولكن أخرجها من البيت.

فذهب واستأجر بيتًا هناك وأرحل عفشها فيه، وقال: أنا أريد أبيع بيتي هذا نعتاش بثمنه لأني لم أجد عملاً أعتاش فيه، فنقل المرأة هناك، وأغلق البيت هذا، وترك البنت فيه، وقال للمرأة: اتركيها هنا لعل المشتري يقوم بها يحتسب الأجر، ثم أحضر أكياسًا وعبأ بها الدراهم، فأخرجها والبنت في بيت آخر، ثم عرض هذا البيت للبيع الحراج (المزاد العلني)، على أن القيمة نقدًا على العقد. فذهبت المرأة لصاحبها، وقالت: اشتر البيت واستقرظ قيمته من الناس ونسددها من الخزينة الذي فيه.

فجعل الدلاّل ينادي على بيت ابن الأسد للبيع، وجعل الرجل يزيد فيه لا يترك السوم لغيره، حتى وصلت قيمته مضاعفة. فاستلمها الولد نقدًا وذهب وحمل ماله وزوجته وغادر البلد بسرعة، وترك المرأة تعاني مشاكل خيانتها، فلما كان في أثناء الطريق مر على غدير ماءٍ من السيل، فأمر البنت أن تغتسل وتتنظف، فظهرت مثل البيضة بجمالها، فلم يملك نفسه عنها فقضا غرضه منها واستمرت الحال صالحة.

فلما وصلا أباها بشراه بالمال، ثم إن الأب رأى عليهما أثر الخير والأنس، فسأله هل وفيت بالشرط الأول أملا؟ فجعل الولد يروغ ليعتذر، ثم اعترف بنقض الشرط، فقال الأب: لا بد من قطع يدك بدل

الشرط، فأدخلهما في غرفة هو والبنت زوجته، وقال: أخرج يدك من كوة الباب لأقطعها، فإذا أخرج الولد يده مسكتها البنت وجذبتها وأخرجت يدها هي، فينهرها أبوها فترجع، ثم يأمره أن يخرج يده هو، فتجذبها وتخرج يدها هي تفعل ذلك عدة مرات. فقال الأب: خلاص أخرجا، ثم قال له: أنا لا أريد أقطع يدك لأنها زوجتك فأنت لم تجرم، ولكن أنا أريد أريك فروق النساء لتعرف المرأة الناصحة المخلصة تفديك بنفسها. (انتهى).

* * *

# كيـد النسـاء

كـان رجـل هنـا متـوسـط الحـال، وكـان جمّـالاً يعمـل عـلى جمل، يذهب للبر يأتي بالحطب يبيعه في البلد، لطلب لقمة العيش لأهله.

وكان إذا صلى في المسجد السنة رفع يديه يدعو، فكان من دعاءه (اللهم إني أعوذ بك من كيد النساء)، فقال له المطوع: إنك تكثر من هذا الدعاء، وهل للنساء كيد؟ لا عمرك تقول ذلك! ففشل الرجل وانهظم أمام الجماعة، فلما أتى بيته، وكانت امرأته ذكية شجيعة، جيدة العناية برعايته وحاله، وحين رأت باله متأثر سألته ماذا؟ فأخبرها أن المطوع انتقده على هذا الدعاء، ففشل وانهظم أمام الجماعة. فقالت: هل تريد أن أربيه لك بأن أريه كيد النساء؟ قال: نعم، قالت: وهل تريد أن آخذ منه فلوسًا لك؟ قال: نعم تَكْفَيْنَ. قالت: اذهب فأت لنا بصندوق كبير يسع الرجل يجلس به. فذهب الرجل للنجار، وأصلح له صندوقًا من الخشب له قفل، فأتوا به على حمار، فقالت: ضعوه داخل الباب، فوضعوه.

فلما كان الليل أعطت رجالها تعليمات، بأن يقوم آخر الليل

ويحمل على جمله عدّته وأغراضه فيجهزه قبل صلاة الفجر. فحين يصلي يركب بعيره ويذهب، بحيث يعلم المطوع ذلك كالعادة. قالت: ولكنك لا تذهب بعيدًا، بل تلوذ خلف البيت تختفي وترقب الباب، فإذا رأيت المطوع دخل عندي فأنت تأتي بسرعة وتضرب الباب وتتكلم: هيش، هيش افتحي، افتحي، قالت: لأجل أني أنفذ فيه المكيدة.

فلما صلى الرجل الفجر بالمسجد، قام وخرج بسرعة عادة المشغول، فأطلق بعيره وانطلق به، وحين لاذ خلف البيت أناخه وعقل يده، ووقف مختفيًا يرقب الباب.

فالمطوع بعد خروج الجماعة والتسبيح، أطفأ السراج وخرج وجافى باب المسجد، وذهب لبيته مارًّا من عند باب الرجل الجمال، إذ كانوا جيرانًا لبعضهم غير بعيد، وأهل القرى والبادية أحوالهم متقاربة، كما في المثل (أهل القُرَيَّهْ كلٌّ عارفٌ أَخَيَّهْ). وإذا امرأة الجمّال واقفة ببابها ملتفة بثوب صلاتها، قالت: صبحك الله بالخير يا المطوع، قال: أهلاً، قالت: بهذا فنجال حليب صلحته لِلْوَفْدَهْ فلان، تعني: الرجل، قالت: ولكن استعجل وذهب على بعيره للبر وتركه، ولا عندي أحد يشربه، ولكن تعال أنت اشربه ما عندك أحد، أنا أغلق الباب بيني وبينك! فوقف المطوع طامعًا بالحليب، ومستشكلاً دخوله عند امرأة وليس ثم أحد، فعزمت عليه وألحت إلاَّ يدخل، وتغلق الباب بينها وبينه. فَدَنَعَتْ نفسه حسب الثقة بنفسه وبها. فأتى ودخل وأغلقت الباب، وقالت له: تقدم للمجلس القهوة. وباللحظة جاء

الرجل وضرب الباب: هيش، هيش، افتحي، افتحي، فارتاع المطوع واضطرب أين يذهب يختفي؟ فقالت: عطاه النَّفُرْ ناسِي المسحات (الفأس) ولكن تعال تعال هنا يا مطوع ورفعت غطاء الصندوق، وقالت: ادخل هنا حتى يأخذ عدته ويذهب، عَطاه الْغِرْبال. فدخل المطوع بالصندوق طلبًا للاستتار من غير شعور. فأغلقت عليه الصندوق، ثم ذهبت وفتحت الباب للرجل، وقالت: لماذا رجعت؟ فقال: هَوَّنْتُ (أبدلت) عن الذهاب للبر، فقال: ليس عندنا شيء نأكله إذا ما ذهبت تحتطب وتبيعه لنا! فقال: أريد أبيع هذا الصندوق.

فذهب وأتى بحمّال فحملوه وذهب به للسوق يبيعه حسب تحطيطها. فلبست المرأة ثيابها وذهبت لأهله وقالت: أدركوا أباكم هذه حاله كذا وكذا، ولكن أدركوه اشتروا أنتم الصندوق تفتحونه وسط بيتكم تسترون حالكم، قبل أن يشتريه غيركم فتفتضحون. فلم يصدقوها، لكنها أقسمت لهم يمينها وعزمت عليهم، ثم ظنوا صدقها حيث قد تأخر عن مجيئه العادة. فذهبوا للسوق فوجدوه يُحَرِّج على الصندوق، (ينادي عليه للبيع) وما فيه، وأن مفتاحه ضائع، ولا يعلم ما فيه، ويشترط أن القيمة نقدًا على العقد (البيع). فعرفوا صحة قولها. فجعل أولاده يزيدون بثمنه حتى اشتروه بقيمة كثيرة، وأتوا به لبيتهم، وفتحوه، وإذا أبوهم فيه، فقالوا: يُبَهْ كيف هذا؟ فقال: أين أنا فيه الآن؟ فقالوا: أنت الآن في بيتنا، فرفع يديه، وقال: الحمد لله. ثم أشار إليهم أن لا تسألوني عن شيء! إذ هو مدهوش فرحًا أن ستر الله

عليه عن الناس أن يعلموا بحاله. وبعد ذلك أخبرهم بأمره.

ثـم إن الرجل الجمـال زوج المـرأة: عـاد لحـاله بدعـاءه، فحين صلى السنة في المسجد رفع يديه يدعو بدعاءه العادة، بِمَسْمَـعٍ من المطوع (اللهم إني أعوذ بك من كيد النساء) فقفز المطوع بسرعة يدنو إليه إلى جنبه متوجِّهًا معه إلى القبلة، رافعًا يديه يقول: آمين، آمين. (انتهى).

* * *

## أَزَمات الأقدار

حدّث رجل سُولَفْكِي (وهو الذي يحفظ السوالف ويحسن قصها، قال: سار رجل في البر على رجليه، وزها به (طعامه) قليل من دقيق في كيس، فلما كان أثناء النهار أو آخره: أتى على بئر في البر فيها ماء، وهو عطشان، فَدَلاً طرف عمامته في الماء، ثم رفعها وعصر مائها وشربه، ثم ربط الكيس وفيه الدقيق بطرف عمامته ودلاّه في البئر كَيْ يدخله الماء يَنْعَجِن، ثم رفعه وأصلحه عجينة، ثم أضرم نارًا، ووضعه فيها خبزت جمر.

وفي هذه اللحظة، طلع عليه عرب مر تحلين على الإبل، يريدون هذا الماء، وحين رآهم هذا الرجل، وإذا خبزته بالنار لم تنضج حتى الآن، وظنهم يمضون في طريقهم، فزبر على خبزته رملاً في موضعها حتى لا يُعلم بها، ثم لاذ عنهم في شجرة حوله واختفى، فإذا ذهبوا يرجع لخبزته ينضجها. ولكنهم نزلوا حول الماء (البئر) ونصبوا بيوتهم، ونصبوا خيمة صغيرة فوق خبزته سواء، وهو عينه لخبزته يرقبها متى يذهبون عنها؟ ولكنهم باتوا ليلتهم فوقها.

فلما هجعوا (ناموا) أتى إلى الخيمة، وأدخل يده من تحت الرواق يلتمس خبزته بالأرض، فوقعت يده على امرأة فيها، وإذا هي ابنة

أميرهم، مخبأة في خدرها هذا، فمسكت يده وقالت: بسم الله وِيشْ أنت؟ فقال: أنا طُرْقِي كنت هنا أعمل لي خبزة قبل تأتون، فلما طلعتم علي وإذا هي لم تنضج، فأضيفت عليها الرمل، ظننتكم تذهبون، ولكنكم نزلتم عليها، فهي الآن تحتكِ هنا! فقالت وهي ماسكة يده: إصبر أشوف (أي: أتطلبها) فإن وجدتها فأنت سلمت، وإلاَّ والله ما تشرب الماء. فجعلت تتطلب الخبزة بيدها في الأرض، ويده في يدها الثانية، فوجدتها، فأفلتت يده وقالت: أبشر بها، فأعطته إياها وقالت: ارجع خلفك شف الماء بالحوض عند البئر، كُلْ خبزتك واشرب من الماء واذهب.

فأخذ الخبزة وقصد حوض الماء، ولكنه سقط في البئر، لم يرها في الظلام، والبنت تنظره وأهلها نيام، فرحمته وأتته وقالت: كيف سقطت في البئر؟ فقال: لم أبصرها بالظلام، فأرادت إنقاذه قبل أن يستيقظ الناس. فأنزلت عليه حبلاً ومسكته بيديها يخرج به، فلما وصل أعلا البئر مسك رجلها من شفقته على الخروج، فانجذبت جَبْرِيًّا وسقطت فوقه وسقطا في البئر معًا، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذه الورطة الكبرى، اللهم استر علينا وأخرجنا منها بالسلامه. فبقيا في البئر، لا حيلة لهما بالخروج.

فلما صار الصباح الفجر أتى إليها الخدم في الخيمة، وإذا ليس فيها أحد، فتطلبوها فوجدوها في البئر مع رجل، فأخبروا أباها الأمير؛ فارتج واضطرب وحزن، وظن أن هذه عن مواطأة سابقة، على أمر فاحش، فأراد إهلاكها.

فأمر على الجماعة أن يرتحلوا من ساعتهم حتى لا يعلم بها أحد. ثم أمر خادمه العبد أن يربط فرسه مكانه، فإذا ذهب الجماعة، فليجمع الحطب عليهما في البئر ويملأها عليهما، ثم يضرم به النار، ثم يركب فرسه ويتبعهم.

فلما ارتحلوا جعل العبد يلقي الحطب في البئر عليهما؛ لكنهما كلما ألقى شيئًا طلعا فوقه، حتى فاض إلى أعلاها، فقبس النار وألقاها عليهما، لكنهما خرجا قبل أن تضطرم بهما النار.

وحيث خرجا طمعا بالسلامة، وقاما بالكفاح، فمسكا العبد وألقياه في ناره، (البئر) حيث قام بإهلاكهما لا محالة. فركبا فرسه وهربا عن أهلها، وذهب بها لأهله، فنجيا.

ثم إن الرجل قام بإكرام البنت، وحفظها وصيانتها. لازم ذلك نحو خمس سنين.

وفي يوم من الأيام: نزلوا بجوار عرب، وإذا هم أهل البنت، فأراد الرجل أن يخبر أباها بها وسلامة الموضوع مما ظنوه، لكن من جانب بعيد حتى يفهم الحقيقة؟

فذهب إليه زائرًا على أنهم جيران، فاستقبله الأمير بالأكرام، وجلسا معًا، وتجاذبا الأخبار والسوالف، فبدأ الرجل يقص الحال من جانب بعيد حتى لا يشك بقصده، لأجل يعرف الواقع من أوله وسلامته، فقال:

إني أتيت ذيك السنة، في ذاك المكان، أمشي على رجليْ، ومعي

زهابـي (طعامي) دقيق، وعملته خبزة، وجاء عرب فنزلوا عليها وكذا وكذا، إلى آخر ما حصل، قال: والبنت هلحين عندي قد لازمت حفظها، وأنا الآن لا أعلم أين أهلها.

فارتج الأمير واندهش فرحًا بوجودها، وسلامتها مما ظنوا بها من المكروه، فقال: أنا أبوها فأين هي إذًا؟ فقال الرجل: تفضل واجهها وتواجهك إن كانت ابنتك فأنت تعرفها وتعرفك. فذهب معه إليها، وإذا هي هي.

ثم أخبرت أباها: بوفاء الرجل، وإكرامه وصيانته إياها، فاستشارها أبوها بتزويجه إياها؟ فقالت: كفيء كريم، ولا نجد له مكافئة إلاَّ ذلك.

فزوجه إياها، وأكرمه من أجل إكرامها. (انتهى).

* * *

## إصلاح ذات البين

لما استرد الحكم أحد الحكام، من خصمائه، بعد أن استولوا على بلاده، وأخذوا بعض بني عمه: أُسَرًا عندهم كرهائن.

فحين قام هذا بالحكم، وأتى خصائمه لحربه، وأتوا بالرهائن ليحابوا معهم جبريًا، فهجم هذا الحاكم على خصمائه ليلاً وانتصر عليهم، ففروا وجعلوا ينتخون نخوتهم المعروفة لهم (خَيَّالَ الخيل فلان، خيَّال الخيل فلان) وهم بالمعركة، لكن هذا الأسير جعل ينتخي نخوة عائلته (خيَّال الخيل فلاني ـ خيَّال الخيل فلاني) فعرفه ابن عمه هذا الحاكم الهاجم، بنخوته وقال: ردوهم، ردوهم، هذولا ربعنا آل فلان. فاستجذبه وأنقذه من خصمائه. فاستقروا عند أهلهم في بلدهم، وزوجه الحاكم أخته. ولكن كما في المثل: (الإمارة خمرة) قام هذا بعد ذلك ينازع ابن عمه على الحكم. فذهب يتطلب له جنودًا يستنصر بهم، فلم ينجح. وكان يأتي لزوجته أخت الحاكم، بعض الوقت ليلاً خفية، يضرب جدار القصر بيده من ظهر البيت، فتظنه هو، فتطلع فوق السطح تَطلّ عليه فتقول: (فلان؟) فيقول: نعم، فتعرفه، فتقول: تعال للباب، فتنزل فتفتح له، فإذا أراد أن يذهب من عندها، فرشت رملاً في غرفة، وقالت: تعال اوطأ برجلك حافيًا على هذا

الرمل، لأجل أنني أستدعي أخاي فلان في الصباح، إنشاء الله يشاهد أثر قدميك، حتى لا يقول: زنيتي، إن حملت منك بولد، فوطىء بقدميه على الرمل وذهب. فلما أصبحت أرسلت لأخيها الحاكم فحضر لديها، فقالت: تعالى شف أثر فلان، عندي البارحة، لا تقل زنيتي! فأرته أثره فاعترف بها.

فلما طالت على ذاك الغربة والبعد عن أهله ووطنه: أرسل قصيدة يهدد بها ابن عمه الحاكم، قال فيها:

يـا نـديبـي فـوق شـامِـخٍ نـابُـه ... نـازِح الـدار مِمْسـي يُقـارِبْهـا
قـولـوا لفـلانٍ ويُخَبِّـرْ أصحـابـه ... عـادتنـا الحـرايـب مـا نِمِـلْ اِبْهـا
مـا نقلنـا اسيـوف الهنـد نَصّـابـه ... عَيْب على اللّي نقلها ما يخضبها

فأجابه الحاكم بقصيدة، لكن تركناها اختصاراً.

ثم أن زوجته أخت الحاكم، أرادت أن تصلح بينهما وتجمع شملهما: فأمرت الجواري بإلقاء شعرها إذا جاء إليها أخوها الحاكم، على مسمع منه، فقالت:

البارحة في منامي حافني حايف ... يا من خَبَرْ حايف للقلب يَسْرِي به
إمَّا يَبِي له شريف مِن ورا الطايف ... وإلاَّ افْراعي الحرايب هو وِجانِبْه
ويا مل قلب عشوق وعاشق عايف ... لا ينعزل به ولا أدري كيف أسوي به
ويا مل قلب على درّاج وامهايف ... ما حْلى اغصون الهبايب يوم تومي به

فقال: كيف هذا يا فلانة؟ فقالت: الذئب ما يأكل لحم ذراعه، ولكن اصلح مع ابن عمك، ترى اختلاف الاثنين من بخت الثالث!

ثم إنها ذهبت للشيخ عالم البلد، وطلبت منه أن يصلح بينهما، لأن فساد ذات البين هي الحالقة.

فسعى الشيخ بينهما بالصلح فصلحا. فلما جاء عندها، أرسلت لأخيها الحاكم فحضر، وكان يقدر كرامتها، فجمعتهما وتسامحا، وانتهت المشكلة والحمد لله. (انتهى).

* * *

# لا تبوق.. ولا تخاف

كانت قرية نخيل في ضواحي إحدى بلدان نجد، وكان أهلها من قبيلة واحدة، فاستأجروا رِجالاً من غيرهم، يؤبِّرون لهم النخل، وأجرتهم من ثمر النخل: كل نخلة منها قِنْوٌ، فإذا نضج التمر: أخذ المؤبر من كل نخلة قِنْوْ.

ثم كثر رجال المؤبرين واستقووا، وطمعوا بأهل القرية، وأرادوا أن يأخذوا منهم قريتهم ونخلهم بالقوة. فصار أحدهم يقول لصاحب النخل: إنه ما يكفيني قَنَايْ، ولكن أبغي قناي وقَنا قَنايْ؟ فيقول: راعي النخل: لا بأس خذ قِنْوَيْن من كل نخلة.

ثم زادوا في التحدي أيضًا: فيقول أحدهم: أنا أبغي قناي، وقنا قناي، وقنا بناتي، وينظرون إليهم بعين حمراء؟ فعلم أهل القرية أن هذا تحدي، وأنهم عزموا على أخذ النخل كله منهم بالقوة، فهم يتوقعون هجومهم عليهم، لكنهم سالموهم، ثم انسحب أهل القرية، من قريتهم وتركوها لهم، فاستولوا عليها كليًا واستوطنوها.

أما أهل القرية: فإنهم تحولوا إلى جماعتهم في البر، فيما دون العراق، وصاروا معهم وقتًا (ما).

وكان الناس يحرصون على مخايلة البرق في الليل، وقت الوسم، أوائل مجيء المطر، ليعرفوا البلاد التي درج عليها هذا البرق (السحاب) لأنه مادة حياتهم.

وكان أمير أهل القرية معهم هناك. وكانت له بنت ذكية شجيعة، فصارت تسري بالليل وحدها إذا هجعوا (ناموا) فأخبرته زوجته بذلك، فانذعر عقله وخاف أنها تذهب لأمر مريب، لكنه حكيم لم تأخذه العجلة والطيش. فتناءم بالليل وهو لم ينم، بل يرقبها، فلما هجعوا انسحبت وذهبت للبر، فأخذ سلاحه وتبعها عن بُعْد، فمضت حتى طلعت فوق مرقب مرتفع، وجعلت تنظر الأفق جهة الغرب الجنوبي، وإذا هي تبصر نوض برق بعيد جدًّا، مثل ارماش العين في الأفق. ومعلوم أن سحاب الوسم مرتفع في الجو يُرى برقه من بعيد، بخلاف سحاب الصيف فإنه واطىء في الجو وبرقه غير بعيد.

الحاصل أن البنت كلما رأت نوض البرق قالت: (كريم يا عَلْ اِنْياق أبوي ترعا حياك)! وهو يسمعها لم تعلم به. ففرح وانشرح صدره، وانزاح عنه الشرُّ وظَنُّ السوء.

ثم انصرفت البنت، وانصرف إثرها، حتى دخلت البيت، وأصبحوا على خير. فلما كانت الليلة الثانية: بعد المغرب جمع الجماعة وشاورهم في الأمر، وقال: هذه فلانة: لها عدة ليال تخيل لكم البرق يمة فلانة، (يعني: بلدتهم)، قال: وش رأيكم لو خليتونا نرجع لبلدنا ونخرج عدونا منها؟ فقالوا: توكل على الله، الرأي الذي ترى دَبِّرنا عليه. فقال: تراكم الصبح شديد إنشاء الله. يعني: تشدون

(ترتحلون) فارتحلوا وأقبلوا حتى قربوا من قريتهم. فتقدم رجالهم أهل السلاح والحرب، ليفاجئوا عدوهم بالقرية مفاجئة، وإذا ليس فيها أحد، لأن السيل قد أخطأها إلى ما حولها، فخرجوا منها ونزلوا بالربيع هناك، وقد استأجروا رجلاً من آحاد العرب. ينزل بأهله في ناحية القرية يختفي ويحرسها لهم، ليخبرهم إن جاء للقرية أحد.

وحين رآهم أتوا، اختفى عنهم وركب حماره وذهب لربعه البغات ليخبرهم.

فأهل القرية أنزلوا أهلهم فيها، ثم خرجوا يتطلبونهم هناك، فوجدوا الرجل في الطريق قبل وصولهم مسرعًا إليهم وحماره: يَرْفُدْ ــ يرفد ــ يرفد به. فمسكوه وإذا هو حارسهم فقضوا عليه، ومضوا لعدوهم فبغتوهم وقتلوا من وجدوا من رجالهم، واستراحوا منهم، وعُرفت شجاعتهم، فسكنوا قريتهم بأمان. (انتهى).

* * *

## [نكتة]: كلٌّ على هَمِّهْ سَرى

كان رجل متوسط الحال، وكانت له ناقة يعمل عليها، وكانت عائلته (هي: زوجته وابنة له قد بلغت غاية سن التزوج) هو ما يقرب من خمسة عشر سنة، وكانوا لا يتركون البنت من التزوج إذا قاربت ذلك، إذا تيسر لها زواج. وقد يزوجونها قبل ذلك.

وحين جاء وقت الربيع، حملوا عفشهم على الناقة، وخرجوا للعزيب يمشون خلفها في البر، فَمَرَّ من حولهم رجل في أثناء الطريق، فأومأ بيدِه إليهم بالسلام. فالتفت الرجل إلى امرأته يستشيرها قال: إنه يسوم الناقة، هل ترين أننا نبيعها عليه؟ فقالت المرأة: (إن كان العشب هنا زين فانزلوا؟) قالت البنت: (بهواكم إن كان هو صالح لكم زوجوه؟)، تعني: نفسها، فهذا معنى هذا المثل: (كل على همه سَرى ــ وأنا على همي سريت).

والسُّرى: هو: المشي والذهاب إلى الحاجات بالليل. فهكذا هؤلاء كل تكلم بما في هاجسه. (انتهى).

* * *

## [تابع] احتيال مريد الإجرام

كان رجل حصلت بيده دراهم، فعلم بها رجل حرامي حولهم، فأتى ليلاً، ودخل عليهم البيت، والرجل وامرأته نيام في الغرفة، ومعهم صبي لهم صغير، وقد وضع الرجل الدراهم: تحت وسادته تحت رأسه، فعلم الحرامي بمكانها. ولكن كيف يبعد الرجل عنها ليأخذها؟. فاحتال لذلك: فأخذ الصبي بهدوء وهو نائم، ووضعه بالحوش خارج الغرفة، ثم أبكاه، واختفى هو حول باب الغرفة.

فاستيقظت المرأة لبكاء صبيها، لكن ما الذي أخرجه من عندها للحوش؟ فاستوحشت واسترابت من ذلك.

فأيقظت الرجل وأخبرته، وقالت: تعال معي جَسِّرْني أجيب ولدي. فقاما وخرجا للصبي، فدخل الحرامي الغرفة بسرعة، وأخذ الدراهم وجعلها في مخباته، وباللحظة انهدمت الغرفة عليه، ففرح الرجل وامرأته أنهما خرجا من الغرفة إذ انهدمت، وظنوا أن إخراج الصبي لطفًا من الله على يد بعض عباده، من كرامات الأولياء.

وفي الصباح جاء الجيران يساعدونهم على تبريح الهديم، لإعادة بناء الغرفة مكانها، وإذا الرجل الحرامي ميت تحت الهديم، والدراهم في مخباته؛ نعوذ بالله من الخزي العاجل والآجل. فعرفوا احتياله للجريمة، وقالوا: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾. انتهى.

* * *

# رُبَّ مستعجل لمنيته

سارت عدة قوافل كبار جميعًا، إلى بعض بلاد البنادر، ليستوردوا بضائع من هناك. ومن جملتهم: رجلان في قافلة قليلة.

وفي بعض منازل الطريق هناك، سرح الرعات بالإبل، وقعد المعازيب بالثاية، على القهوة والسوالف. وكانت أمامهم: قليب (مارد الماء) ومن العادة يكون عليها ازدحام، ومضاربة على الماء، وقتال بعض الأحيان: وغدًا يقدمون عليها إذا ارتحلوا الصباح.

فانعقد رأي كبار الجماعة أن يتقدم أحدهم قبل الفجر، على راحلته، ويحمل معه بعض عدة ورد الماء، ليمسك لهم زامًا عليها، والجماعة يرتحلون في الصباح بعد الفجر ويتبعونه.

ولكن: لَمّا هضلت الإبل، المغرب وإذا قد ضاع جمل من إبل الرجلين، أصحاب القافلة القلية. فقالا للجماعة إنا قد ضاع منا جمل، لعلكم تُقِيمون لنا الصباح نتطلب بعيرنا لعلنا نجده؟ فقال الجماعة: إننا قد عزمنا على الارتحال من هنا مبكرًا قبل الازدحام على الماء. فقال الرجلان: ونحن كيف نعمل: هل نترك بعيرنا ونذهب معكم أو تتركوننا هنا وحدنا؟

فتركهم الجماعة، وارتحلوا مستعجلين حسب تخطيطهم السابق. وبقي الرجلان في منزلهم، ثم ركب أحدهما جملاً وذهب يتطلب البعير؟ فوجده في مفلا الإبل غير بعيد، فأتي به، وتركه يرعى مع الإبل حولهم، ثم عملوا لهم قهوة وغداءً قبل الارتحال.

أما الجماعة فإنهم بعدما ساروا من عندهم: صادفهم قوم كثيرون، راجعين من واقعة حرب قد حصلت بين بعض الحكام هناك. وحين صادفوا الجماعة أغاروا عليهم، وأخذوا إبلهم ومالهم وقتلوا بعضهم وهرب بعضهم، ورجع واحد منهم هاربًا على رجليه، إلى الرجلين اللذين تأخروا عنهم بسبب ضياع بعيرهم.

فبينما هم يتقهوون إذ أقبل عليهم رجل يركض، من الجهة التي ذهب إليها أخوياهم (الجماعة) وحين حققوا فيه النظر، وإذا هو أحد أخوياهم، مذعورًا. ففزعوا لرجوعه هكذا؟ وقاموا وقوفًا، فلما وصلهم قالوا له: عسى ما شر يا فلان؟ فقال: بلى شر وعيش مُرْ. أنا شريدة من خلفي، جاءنا قوم كثيرون، أخذوا المال وقتلوا بعضنا وهرب بعضنا، وأنا هربت إليكم.

فاضطرب الرجلان، وإذا هما يبصران الغبرة جهتهم وراء الحزم، وقالا للرجل: هل وجه القوم إلينا أو ورائهم؟ فقال: أنا هربت ولا أعلم ما حال الناس ورائي.

فقالا له: ارجع اشرف عليهم من فوق هذا الحزم المرتفع الحائل بيننا وبينهم، واسبرهم من خلال الشجر، انظرهم هل وجههم إلينا فأنت

لَوِّحْ لنا بشماغك لنحمل عفشنا وترجع مسرعًا، لنهرب نميل عن طريقهم لا يدهموننا، لعلنا نسلم منهم.

وإن كان هم أقفوا وراهم، فأنت ترجع تمشي، لنعرف أنهم ذهبوا.

فرجع الرجل يعدو يشرف على القوم، وإذا هم قد وَلَّوْا، فرجع يمشي.

ثم ارتحلوا وساروا في طريقهم، حتى وصلوا الرجل خويهم المتقدم من ليله على الماء (البئر ــ الماردَ) وإذا هو يصفق بيديه استبطاءًا لأخوياه؟ فأخبره الرجل بحالهم، فسقط مغشيًّا عليه، إلى آخر ما حصل. قال الشاعر:

لو كنت أعجب من شيءٍ لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر

* * *

## منافع النوى

سبق أن ذكرنا، أن نوى التمر نفّاع جدًّا، علفًا للمواشي، يخمرونه بالماء عدة أيام ويغلونه على النار، حتى يلين ويتنفّخ، فتأكله الدبش، أحسن علوق لها. أو يكسرونه ويخمرونه بدون غلي.

فكانوا يجمعون النوى ويباع بالسوق بقيمة جيدة.

وفي وقت المساغب (المجاعة) جربوه نفّاعًا حتى لجسم الإنسان.

كان جماعة يعملون عُمّالاً عند فلاح، يحرثون له الزرع. ومعلوم أنه إذا اجتمع على الإنسان تعب (شغل) وقِضْفُ معيشة، ظهر على جسمه النشوفة والذبول.

وإذا أحد هؤلاء العمال: ظهر عليه النمو وحمرة الخدين، فتعجب منه أصحابه، وظنوا أن المعزب يخصه بشيء من الطعام دونهم. فجعلوا يسبرونه يراقبون عليه ماذا؟ فلم يروه يعطي شيئًا. ولكن المعازيب يخمرون النوى للمواشي في قدر كبير خارج البيت، فصار هذا الرجل: إذا خرجوا في الصباح إلى العمل يمر هو على قدر النوى ويكرع فيه يشرب من مائه بفمه حتى يروى، ثم يتبع أخوياه، فعرفوا أن

هذا النوى هو الذي ميزه عليهم، فحسدوه، بأن أخبروا المعزب بأن الرجل يشرب ماء النوى، وأنه سوف ينقص نفعه للمواشي بقدر نفعه للرجل. فالمعازيب أدخلوا القدر داخل البيت، فانقطع منه الرجل، ورجعت صحته كأصحابه.

* * *

## قصة أخرى

كان رجل وزوجته، قد أنهكهما الجوع وقت مجاعة، فلم يجدا ما يقوم به أودهما، فذهب الرجل يتطلب الرزق، وبقيت زوجته في البيت.

فالرجل لم يتيسر له رزق، فأخذ وقتًا (ما) في طلبه غائبًا، وحالة غيابه: قلبه عند زوجته، لا يعلم ما صارت حالها: هل هلكت جوعًا، أو على وشك هلاك، أو أتاها الله برزق، أو ماذا؟

فقدم إليها وهو يتوقع بعض هذه الأحوال.

ولكن حين أتاها وإذا صحتها جيدة، ويظهر على جسمها أثر السِّمَنْ، فأنكر ذلك منها، وشك في الحال، ماذا؟ فاعتزلها، فأنكرت اعتزاله إياها، وسألته ماذا؟ فقال: كنت أتوقع هلاككِ جوعًا، وإذا أنتِ سمينة هكذا، فمن أين هذا السمن وليس ثم طعام؟ فضحكت وقالت: بصيطة بَرَدَها الله بالعافية. إنه أنهكني الجوع بعدك، وأنا بانتظارك برزق، وإذ لم يكن، ورأيت الموت بعيني: أخذت شيئًا من النوى ودققته بالنجر، وطحنته بالرحا، ولهمت منه شيئًا، تجربة، فردّت عليّ روحي، فأخذت زيادة ولهمته، فنشطت، فعاملته فسمنت عليه وحده، كما ترى.

فَسُرِّي عن الرجل، ورضي عنها وفرح. (انتهى).

* * *

## شِدّة الغربة

تغرب أحدهم، وحيث أبطأ، اشتاق إلى أهله ووطنه، وإذ لم يمكنه الرجوع، جعل يبكي حتى أضر ذلك بصحته، فمرض.

يقول صاحبه: فدخلت عليه وإذا هو يجود بنفسه (به الموت) وإذا هو يقول:

يا بعيد الدار عن وطنه　　وحيدًا يبكي على شجنه
كلما جد النحيب به　　زادت الأسقام في بدنه

فأغمي عليه، ثم انتبه بصوت طائر يغرد، فقال:

وقد زاد الفؤاد شجًا　　هاتف يبكي على فننه
شاقه ما شاقني فبكى　　كلنا يبكي على سكنه

فأغمي عليه، فدنوت منه فحركته وإذا هو قد مات. (انتهى).

* * *

# خاتمة

وإلى هنا: انتهى ما تيسّر جمعه وإبرازه، نسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يحقق أملنا بذلك، فإنه ولّي التوفيق والمطلع على السرائر، والحمد لله الذي بفضله تتيسّر الأمور، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلَّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

# فهرس المجلَّد الخامس

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


● ● ●